المحاضرة الأولى

تطور التدوين التاريخي في المشرق الإسلامي

كان العرب قبل الإسلام يؤقتون بالنجوم والأهلة ويؤرخون بالحوادث العظام والوقائع المشهورة كعام الفيل وبناء الكعبة المشرفة حتى خلافة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه فأمر الناس أن يؤرخوا من عام الهجرة.

أما عن تدوين التاريخ أو التدوين التاريخي ذاته فمن المعروف أن العرب في جاهليتهم وأوائل الإسلام كانوا يحفظون التاريخ في ذاكرتهم، ولم يقوموا بتدوينه، ولم يكن ذلك لأنهم كانوا يجهلون الكتابة؛ ولكن لتحبيذهم الحفظ على الكتابة؛ إذ أنَّ مَلَكَةَ الكتابة لم تكن وقتذاك لتُعْطي صاحبها تفوُّقًا في المجتمع أكثر ممَّا تعطيه مَلَكَة الحفظ، فكان تاريخ العرب الأَوَّل – وهو عبارة عن وقائع وأيام وغزوات – محفوظًا في الذاكرة يُرَدِّدُونَه على ألسنتهم. ولكن بعد أن ابتعد العرب المسلمون عن بيئتهم، وتفَرَّقُوا في الأرض للفتح والغزو بين شعوب لا تَتَكَلَّمُ لغتهم، ضعفت ملكة الحفظ عندهم، وظهرت الحاجة إلى التدوين؛ ففي أواخر القرن الثاني الهجري كان المسلمون في حاجة مُلِحَّة إلى ضبط ونقل أحاديث النبي –صلى الله عليه وسلم– والسِّيَرِ والأحوال؛ وكان هذا بداية تدوين التاريخ الإسلامي. وإن كان التدوين في التاريخ الإسلامي لم ينتشر إلاَّ حينما أَقْبَلَ أهلُ البلاد المفتوحة على الإسلام، وأقبلوا على تَعَلُّم العربية؛ حيث كانت حضارتهم السابقة تساعدهم على تذوُّق التاريخ، فكان معظم المؤرخين الأوائل في الإسلام هم المستعربين من العجم.

ويمكن القول بأن الدراسات التاريخية الإسلامية قامت في البداية على سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخبار غزواته ومن اشترك فيها من الصحابة، وأخبار هجرة المسلمين الأوائل إلى الحبشة ثم إلى المدينة المنورة، وكانت مكة والمدينة المركز الرئيسي لنشاط هذه الحركة التاريخية. وكان المؤرخون يعتمدون على الروايات الشفهية كما كان يفعل المحدِّثون؛ مما يدل على أن التاريخ الإسلامي سلك في بدايته الطريقة نفسها التي سلكها علم الحديث؛

فكان الخبر التاريخي على هذا النحو يتألف من رواة الخبر على التتالي، وهو ما يُعرف بالسند أو الإسناد، ثم نَصّ الخبر ويسمى المتن. وبهذا تعدّ كتب المغازي والسيرة أقدم الكتب التاريخية التي تجمع بين الحديث والتاريخ، وكان سبب الاهتمام فيها هو اهتمام المسلمين بأقوال الرسول –صلى الله عليه وسلم– وأفعاله؛ للاهتداء بها والاعتماد عليها.

أساليب تدوين التاريخ الإسلامي

وقد ظهر بذلك أسلوبان في تدوين التاريخ عند المسلمين؛ الأوَّل: هو أسلوب المحدِّثِينَ الذي ظهر واضحًا في تاريخ السيرة النبوية التي نشأت في المدينة المنورة، وتميَّز أسلوبها بذِكْرِ الخبر مع إسناده .أمَّا الأسلوب الثاني: فهو أسلوب الإخباريين الذي تميَّز بإعطاء صورة كاملة عن الواقعة التاريخية، وذِكْرِ التفاصيل، ورواية الشعر والخطب، وقد ظهر هذا الأسلوب في الكوفة. ثم ظهر بعد ذلك الجمع بين الأسلوبين، كما ظهرت مدارس أخرى للتاريخ تميزت بتناول الموضوعات الخاصة بالمعارك والفتوح الإسلامية ودراسة الأنساب.

أصناف الكتابة التاريخية عند المسلمين

أولا: كتب السيرة النبوية والمغازي

دفع اهتمامُ المسلمين بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله –للاهتداء بها، والاعتماد عليها في التشريع والنظم الإدارية. ويمكن تقسيم رواة السيرة وكتبهم حسب تَقَدُّمهم الزمني إلى ثلاث طبقات؛ الأولى: من أبرز رجالها: عروة بن الزبير بن العوام وهو تابعي (ت 94هـ/ 713م) الذي يعد مؤسس دراسة المغازي، فهو أول من صنف فيها غير أن اهتمامه لم يقتصر على مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم، بل تناول صفحات من حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعض الأحداث الهامة في تاريخ الرسالة، وأبان بن عثمان بن عفان (ت 105هـ/ 723م)، الذي ترك وراءه صُحُفًا تضمُّ شذرات من حياة الرسول، وشرحبيل بن سعد. ومن رجال الطبقة الثانية محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت 124هـ/ 742م)، ويُعَدُّ من أعظم مؤرِّخِي المغازي والسيرة. أمَّا الطبقة الثالثة فمن أشهر رجالها موسى بن عقبة (ت 141هـ/ 758م) ومحمد بن إسحاق (ت151هـ/768م) **الذي** تُنسب إليه أقدم كتب السيرة التي وصلتنا.

ثانيا: كتب الطبقات والتراجم

عرفت الثقافة التاريخية الإسلامية منذ وقت مبكر كتب الطبقات، وهي تلك الكتب التي تتعلق بتدوين الحديث الشريف وتوثيقه، فادى ذلك إلى النظر في أسانيد الحديث، وأحوال الرواة، ومِن ثَمَّ ولادة فكرة الطبقات نفسها. فقد كان على علماء الحديث أن يهتموا بوضع معايير تسمح بقبول وتصحيح نص حديث الرسول –صلى الله عليه وسلم–، وقد انصبَّتْ تلك المعايير على الجانب الخُلُقي في الراوي، وعلى مدى صدقه وتقواه، وأضافوا إليها تقصيًا عن البيئة الأسرية للرواة، وطبيعة ارتباطهم بالنبي –صلى الله عليه وسلم–، والمدة التي قضوها معه، وعلاقاتهم بصحابته المقربين، أو بخلفائه الراشدين. كما ركزوا على حدوث لقاء فعليّ أو محتمل، وحرصوا على معرفة تاريخ الولادة والوفاة لكل واحد من الأعلام المذكورين في سلسلة الإسناد.

ومن ثَمَّ كان الإسناد في الحديث سببًا في ظهور التراجم التي تضم تفصيلات عن كل واحد من رجال السند، ولما كان ينبغي ترتيب أولئك الرجال على طبقات متتالية، والتركيز على المعاصرة، والعلاقات المشتركة، وطبيعة تلك العلاقات؛ سعيًا لتسلسل الإسناد إلى النبع الذي هو النبي صلى الله عليه وسلم، كانت ولادة فكرة الطبقات، والتي قدَّمتْ رجال السند تحت تصنيفات متعددة.

وعليه فقد ظهرت الطبقات في مجالات شتى؛ منها: كتب طبقات المحدِّثين، وطبقات الحُفَّاظ، وطبقات الفقهاء، وطبقات الشافعية، وطبقات الحنابلة، وطبقات القُرَّاء، وطبقات المفسِّرين، وطبقات الصوفية، وطبقات الشعراء، وطبقات النحويين، وطبقات الأطباء. ومن أشهر كتب الطبقات: (الطبقات الكبرى) لمحمد بن سعد الزهري (ت 230هـ). وطبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي (ت232هـ/846م)، وطبقات خليفة بن خياط (240هـ/854م) الذي حوى كتابه على تراجم ما يقارب 3375 من الصحابة والتابعين وتابعيهم رجالا ونساء وطبقات الصوفية لابن عبد الرحمن السلمي (ت412هـ/1021م) وطبقات الفقهاء لأبي اسحق الشيرازي (ت476هـ/1083م) وغيرهم.

أما كتب التراجم فهي مصنفات تعرض لسير حياة مشاهير الناس الذين تجمعهم صفة الشهرة في مجال تخصصهم وبشكل موسوعي، وتتناول العلماء والأدباء، والقادة، والخلفاء، وغيرهم، وأشهرها: (معجم الأدباء) لياقوت الحموي (ت 626هـ/1229م)، و(أُسْد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير (ت630هـ/ 1232م) ، و(وفَيَات الأعيان) لأحمد بن محمد بن إبراهيم بن خِلّكان (ت 681هـ/ 1282م)، وهو من أشهر كتب التراجم ومن أحسنها ضبطًا وإحكامًا، و(فوات الوفَيَات) لابن شاكر الكُتُبيّ، و(الوافي بالوفيات) لمؤلفه صلاح الدين خليل الصفدي (ت 764هـ/ 1362م)

ثالثا: كتب الفتوح

وهي التي اهتمَّتْ بفتوح البلدان والأمصار مثل: كتاب (فتوح مصر والمغرب والأندلس) لابن عبد الحكم (ت 257هـ/ م)، و(فتوح البلدان) للبلاذري (ت هـ/ م)، و(فتوح الشام) للواقدي (ت 207هـ/ م).

رابعا: كتب الأنساب

وتهتم بأنساب العرب وأصولهم، وقد كان للعرب ولعٌ خاصٌّ بهذا العلم؛ نظرًا للعصبية القَبَلِيَّة التي كانت متأصِّلَة فيهم قبل الإسلام، وفي الفترة الإسلامية تجددت العناية بالأنساب، وكان إنشاء الديوان من قبل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) دافعا جديدا للاهتمام بها ثم إن بعض الخلفاء اهتموا بالأنساب وشجعوا على مثل هذه الدراسات، وكان من أشهر النسّابين: محمد بن السائب الكلبي (ت 146هـ/763م) صاحب كتاب (جمهرة النسب)، والهيثم بن عدي (207هـ/822م) مؤلف كتاب (أنساب الأشراف)، ومصعب الزبيري (ت 236هـ/ 851م) له كتاب (النسب الكبير)، كتاب (نسب قريش)، ويعد كتاب نسب قريش أفضل ما وصلنا من الكتب عن نسب قريش.

خامسا: التواريخ المحلية والتواريخ الإقليمية:

تعد التواريخ المحلية أو تواريخ المدن، والتواريخ الإقليمية إحدى أنماط التدوين التاريخي العربي الإسلامي ومنذ عهد مبكر ظهرت تواريخ لبعض المدن الإسلامية (التواريخ المحلية)، كما ظهرت تواريخ إقليمية لبعض أقاليم ديار الإسلام.

فقد ألف ابن زبالة كتابه (أخبار المدينة في حدود سنة 199هـ/ 814م)، كما ألف الازرقي (ت 250هـ/865م) كتابه (أخبار مكة وما جاء فيها من آلا ثار)، وألف أبو الحسن بخشل (ت 292هـ/905م) تاريخ واسط، كتب حمزة السهمي (ت427هـ/1036م) كتابه (تاريخ جرجان) وكذلك فقد ألف الخطيب البغدادي (ت463هـ/1071م) كتابه (تاريخ بغداد) وألف ابن عساكر (ت571هـ/1175م) تاريخ مدينة دمشق، ويقع في ثمانين مجلدًا، وكتاب (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) لجمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت 874هـ/ م).

سادسا: التواريخ العامة أو تواريخ العالم:

ويُقصد بها كتابة التاريخ مسلسلا وفق تعاقب السنين، ويُسَجِّل فيها المؤرِّخ تاريخ البشرية منذ بدء الخليقة؛ مرورًا بالرسالات السماوية قبل الإسلام، والتاريخ الجاهلي، وعصر النبي صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الراشدين إلى التواريخ الإسلامية اللاحقة إلى الزمن الذي بعيشه المُؤلف.

ومن أوائل هذا النمط في التدوين التاريخي هم:

1. الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (282هـ /895م) صاحب كتاب (الأخبار الطوال) وهو في التاريخ العام وخطته في الكتاب تقوم على تقسيمه إلى ثلاثة أقسام، الأول: يتناول

الخليقة منذ آدم مرورا بكافة الأنبياء، والثاني تناول فيه تاريخ الساسانيين والروم، بينما خصص القسم الثالث منه لحروب العرب والفرس، والفتوحات.

2. اليعقوبي، أحمد بن إسحق بن جعفر بن وهب بن واضح (292هـ/905م): صنف كتبا جيدة منها (تاريخ اليعقوبي) الذي يعد أنموذجا للتاريخ العالمي، فقد قسمه إلى قسمين القسم الأول: خصصه لعصر ما قبل الإسلام، ثم العصور الإسلامية حتى سنة 259هـ /873م ابتدأ التاريخ منذ بداية الخليقة ثم أرخ حسب تسلسل الأنبياء حتى الإسلام، بعد ذلك يؤرخ لعصر الرسالة والراشدين والأمويين، ثم يذكر الخلفاء العباسيين واحدا بعد الآخر إلى زمن الخليفة المعتمد على الله العباسي سنة 259هـ/873م.

3–الطبري، محمد بن جرير ابن يزيد ابن كثير (ت 310هـ/922م) مؤلف كتاب (تاريخ الرسل والملوك) الذي قسمه إلى قسمين: **القسم الأول:** يتضمن مرحلة ما قبل الإسلام والقسم الثاني يتضمن ما بعده فالقسم الأول بحث في الخليقة والبدء وهبوط آدم وقصة قابيل وهابيل، ثم عرض للأنبياء من نوح حتى ظهور الإسلام فضلا عن ذكر تاريخ الفرس، ثم تحدث عن بني إسرائيل وأخبارهم، ثم ذكر ملوك الروم منذ المسيحية ثم عطف على عاد وثمود وطسم وجديس وجرهم ثم ملوك اليمن، ثم تحدث عن أجداد الرسول تمهيدا لعهد الرسالة.

أما القسم الثاني: فقد تناول التاريخ الإسلامي منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى سنة 302هـ/ 914م وقد انتهى من تأليفه سنة 303هـ/915م.

أما منهج الطبري في كتابه التاريخ فقد اعتمد الطبري في أخباره على الرواية التي يذكرها له الراوي عن حدث تاريخي معين، ولما كان زمن الأحداث يبتعد أحيانا عن آخر راوي، وهو الذي روى الخبر للطبري. لذا رأينا تعدد الرواة في ذكر الخبر الواحد ابتداء من أول راو شاهد الحدث أو عاينه وبين آخر راو، فصار من الضروري إسناد الخبر إلى رواته الذين رووه جميعا واحدا عن الآخر في سلسلة متصلة، وهذا ما يسمى بـ (الإسناد) وهو

طريقة المحدثين في نقل أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذه الطريقة ليست بغريبة على الطبري لاطلاعه الواسع على الحديث وعلومه، ولكونه محدثا حافظا على هذا التقليد الذي هو من خصائص المحدثين واستعمله في التاريخ تحريا للدقة والصدق.

وبهذا فإن تاريخ الطبري القيم قد كفى من جاء بعده مهمة العناية بجمع وتحقيق الموارد المتصلة بالتاريخ الإسلامي، وأصبح المؤرخون اللاحقون يلخصون عن الطبري، مع زيادات على معلوماته يشتقونها من البلاذري، أو أنهم يبدؤون من حيث انتهى الطبري.

ومن المسعودي (ت إلى مسكويه إلى هلال الصابي إلى ابن الجوزي، إلى ابن الأثير إلى سبط ابن الجوزي ثم إلى الذهبي وابن كثير خط طويل من العمل التاريخي يأتي الطبري دوما في مقدمته.

هذه أهم صور وأنماط الكتابة التاريخية في المشرق الإسلامي، وهناك صور أخرى كثيرة من صور الكتابة التاريخية التي أوصلها بعض المؤرخين إلى نحوٍ من ألف نوع من أنواع الكتابة التاريخية، وذكر الذهبي أربعين نوعًا؛ كان منها: السيرة النبوية، وقصص الأنبياء، وتاريخ الصحابة، والخلفاء، والملوك، والدول، والوزراء، والأمراء، والفقهاء، والقرَّاء، والحفَّاظ، والمحدِّثين، والمؤرِّخين، والنحاة، والأدباء، واللغويين، والشعراء، والعُبَّاد، والزهاد، والصوفيين، والقضاة، والولاة، والمعلِّمين، والوعَّاظ، والأشراف، والأطباء، والفلاسفة، والبخلاء.

المحاضرة الثالثة

كتب الطبقات والتراجم المغربية والأندلسية

تمثل كتب التراجم نمطا من أنماط التدوين التاريخي الذي ظهر منذ بواكير التدوين عند العرب المسلمين، وقد سبق المحدثون سواهم في الاهتمام بتراجم رواة الحديث لحاجتهم إليها في الجرح والتعديل، فظهرت كتب علم الرجال التي تميزت بالدقة، بسبب اقتصارها على المواد التي تخدم الحديث النبوي الشريف، وعدم اهتمامها بالأخبار المفصلة عن حياة أصحاب التراجم.

واهتم المؤرخون –وأحيانا أصحاب العلوم والآداب أنفسهم – بجمع تراجم المشهورين من أصحاب علم أو أدب أو فن أو سواها، في مدة معينة قد تطول أو تقصر في مؤلف واحد، فيعرف بهم وتذكر بعض أخبارهم، فظهرت كتب تراجم الفقهاء والقضاة والكتاب والحجاب والشعراء والأدباء والنحاة واللغويين والأطباء والحكماء.

واهتم بعضهم الآخر بجمع تراجم المشاهير في بلده في كتاب واحد، بغض النظر عن نوع عنايتهم .... وعلى الرغم من أن كتب التراجم هذه قلدت كتب علم الرجال في عناصر الترجمة وتنظيم مادتها وسرد الروايات بالإسناد في الغالب، إلا أنها تميزت بسعة المادة التاريخية وغناها، حيث اهتمت بالأخبار والحكايات والأشعار وذكر أسماء مصنفات أصحاب التراجم والوظائف التي تقلدوها.

إن أهمية كتب التراجم والطبقات في دراسة تاريخ الغرب الإسلامي كبيرة وشاملة، فهي تقدم معلومات وفيرة عن الحياة الثقافية والعلمية ... إن كتب التراجم والطبقات المغربية والأندلسية وسواها تمثل قسما مهما وضخما ونفيسا مما ألفه المسلمون في ميدان التاريخ.

إن هذا التنوع الموضوعي لكتب التراجم والطبقات المغربية والأندلسية المؤلفة، يعكس جانبا مهما من معطيات الحركة الفكرية المرتبطة بالواقع وتطوراته في المجتمع العربي الإسلامي في المغرب والأندلس.

وواضح أن كتب التراجم الأندلسية والمغربية تتفوق على كتب المشرق مجتمعة من حيث العدد على الأقل.

وبحكم موقع الأندلس الجغرافي وصلته بالمغرب والمشرق فقد اختلطت بعض كتب التراجم بعضها في البعض الآخر، فقد دخل الأندلسيون والمغاربة معا في أعمال مثل: "الحلة السيراء" لابن الابار (ت 658 هـ/1260م)، و"نثير فرائد الجمان"، لابن الأحمر الغرناطي (ت 807 هـ/1404م)، كما دخل المشارقة إلى جانب الأندلسيين والمغاربة في كتب مثل: "الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة" لأبن سعيد (ت 685هـ/1286م)، و"اعتاب الكتاب" لأبن الآبار، و"نثير فرائد الجمان لابن الأحمر، إذ بدأ كتابه بفصل عن بعض شعراء المشرق من أمثال: صفي الدين الحلي، وابن أبي حجلة التلمساني، والشريف عبد العالي بن طاووس العراقي.

ومن أمثلة ما ألفه المغاربة والأندلسيين في هذا النوع من التأليف:

– كتاب طبقات علماء افريقية، لأبي العرب مُحَمَّد بن أحمد بن تميم التميمي (333هـ /945م):

يتضمن كتاب أبو العرب مُحَمَّد بن أحمد بن تميم التميمي، عدد من تراجم لعدد كبير من العلماء و الفقهاء المالكية، أغلبها موجز في عدة سطور، اللافت للنظر أن أغلبهم من متبعي المذهب المالكي في غياب لعدد كبير من فقهاء الأحناف، أو الاسماعيلية، وذلك في اطار الصراع المذهبي الذي شهدته فترة أبو العرب التميمي، وتبعا لذلك فإن الكتاب فيد ذكر لعدد من مجالس المناضرة التي كانت تقع بين فقهاء المالكية والشيعة الاسماعيلية، استمرت على عدد من الصفحات الطوال ودارت حول تفضيل الإمام علي ﷺ على الصحابة، والحوار ينتهي باقرار وجهة النظر السنية المالكية.

ويليه **كتاب طبقات علماء افريقية وتونس، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن الحارث بن أسد القيرواني الأندلسي الخشني (361هـ/972م)**، والذي سار على نفس المنهج في الترجمة لفقهاء المالكية.

– كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، لأبي بكر عبد الله بن مُحَمَّد المالكي (ت ق 4هـ/10م):

يعتبر كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسِيرٍ من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم"، تأليف أبي بكر عبد الله بن مُحَمَّد المالكي ، من الكتب التي اهتمت بعلماء بلدٍ بعينه أو منطقة بعينها، ألا وهي مدينة القيروان.

يقول المالكي في خطبته بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله يقول: أنه سأله بعض الناس على التأليف في علماء إفريقيا والمتفقهين والأولياء والعباد المجتهدين، ومن كان بمراسي إفريقيا وسواحلها ومراسيها وحصونها منهم، فاستخرتُ الله ربي واستهديته واستعنته وذكرتُ ما بلغني من أخبار نساكهم وعبّادهم وفضائلهم وأوصافهم وتاريخ وفاتهم، بحسب ما انتهى إليه علمي وبلغته معرفتي وطاقتي.

ويحسن بنا أن نبين ما احتواه كتاب « رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية »، فهو بدأ بما جاء في فضل إفريقيا والمنستير وذكر فضل القيروان، والولاة الذين تعاقبوا على القيروان، ثم ذكر من دخل إفريقيا من أصحاب النبي ﷺ .،ثم ذكر من دخل إفريقيا وأوطانها من التابعين وهم الطبقة الأولى من علماء مدينة القيروان، ثم ذكر باقي الطبقات إلى غاية الطبقة الخامسة، ويلاحظ أنه لا يرتب هؤلاء ترتيبًا على حروف الهجاء، وإنما يبدو أنه أتى بهم هكذا، من غير ترتيب معروف.

– "قضاة قرطبة"، لمحمد بن حارث الخشني القيرواني (ت 360هـ/971م) شرع الخشني بتأليف كتاب (قضاة قرطبة) بتكليف من الخليفة الحكم المستنصر (350هـ/961م–366هـ/976م) من الفتح الإسلامي إلى سنة (357هـ/967م)، والكتاب يحتوي على خمسين ترجمة لقضاة الأندلس في قرطبة، وهو ذو أهمية كبيرة لدراسة الحياة الاجتماعية والثقافية في تلك الفترة وعن بعض الفقهاء الذين رفضوا القضاء، وفيه مادة قيمة لدراسة نظام القضاء في الأندلس، ومنها شروط اختيار القاضي، ومذاهب القضاة ونظام المحكمة، وجلال منصب القضاء ويذكر أن لديه كتب أخرى كثيرة منها طبقات علماء افريقية وغيرها.

– "طبقات الأطباء والحكماء"، لابن جلجل (ت 384هـ/994م) الكتاب جمع فيه المؤلف تراجم لأطباء وحكماء وفلاسفة حتى عصره.

– "طبقات النحويين واللغويين"، للزبيدي ابو بكر بن الحسن (ت 379هـ/989م)، وهو كتاب في تراجم النحويين واللغويين منذ بداية عهد التصنيف في النحو وحتى عصر المؤلف، لقد

حاول الزبيدي بكتابه هذا أن ينقي كتب الأدب من الألفاظ العامية، ويرشد الأندلسيين إلى اللغة العربية الصحيحة.

– "تاريخ علماء الأندلس"، لابن الفرضي (ت 403هـ/ م)، وهو كتاب تراجم لعلماء الأندلس من رجال فقه ورواة الحديث من الأندلسيين والوافدين وممن كانت لهم أثار بين الناس من أدباء وشعراء وأطباء ....الخ، وقد وضع أحد تلاميذ ابن الفرضي وهو أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن مهاب (ت 450هـ/1058م) ذيلا على تاريخ استلذه سماه (تعليق على تاريخ ابن الفرضي واستلحاق).

– "جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس" للحميدي (ت 488هـ/1095م)، الكتاب في مجموعه عظيم القيمة، وقد صنفه في المشرق بعد عام (463هـ/1070م)، ذكر فيه أسماء رواة الحديث بالأندلس وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر، وتراجم الكتاب فيها بعض النقص والأخطاء، لأنه كتبها بعيدا عن وطنه، وقد وقف الحميدي بتراجمه في الجذوة عند من توفوا سنة (449هـ/1057م).

– كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي (ت 544هـ/1149م):

كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للإمام العلامة الحافظ الأوحد شيخ الإسلام، أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي، ثم السبتي المالكي (476 هـ - 544 هـ / 1083م - 1149م)، لمعرفة أعلام مذهب مالك.

يعد هذا الكتاب أكبر موسوعة تتناول ترجمة رجال المذهب المالكي ورواة "الموطأ" وعلمائه، وقد استهل الكتاب ببيان فضل علم أهل المدينة، ودافع عن نظرية المالكية في الأخذ بعمل أهل المدينة، باعتباره عندهم من أصول التشريع، وحاول ترجيح مذهبه على سائر المذاهب، ثم شرع في الترجمة للإمام مالك وأصحابه وتلاميذه، وهو يعتمد في كتابه على نظام الطبقات دون اعتبار للترتيب

الألفبائي؛ حيث أورد بعد ترجمة الإمام مالك ترجمة أصحابه، ثم أتباعهم طبقة طبقة حتى وصل إلى شيوخه الذين عاصرهم وتلقى على أيديهم.

والتزم في طبقاته التوزيع الجغرافي لمن يترجم لهم، وخصص لكل بلد عنوانًا يدرج تحته علماءه من المالكية؛ فخصص للمدينة ومصر والشام والعراق عناوين خاصة بها، وإن كان ملتزما بنظام الطبقات.

– "كتاب الصلة"، لابن بشكوال (ت 578هـ/1182م) وكتاب الصلة ذيل أكمل به ابن بشكوال (تاريخ علماء الأندلس) لابن الفرضي، وهو كتاب تراجم يحتوي على سير طائفة من العلماء والمحدثين والفقهاء وأهل الأدب الأندلسيين حتى عصره.

– "بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس" للضبي، (ت 599هـ/1202م) حيث يواصل الضبي تراجم كتابه إلى عام (591هـ/1194م) ويضم في الغالب تراجم مختصرة ويهتم اهتماما خاصا بأهل العلم والأدب، ومادة الكتاب التاريخية عظيمة القيمة موثوق بها، وقد أوجز الضبي في فاتحة كتابه تاريخ الأندلس حتى عصره.

كتاب "التكملة لكتاب الصلة"، لابن الآبار القضاعي، (ت 658هـ/1260م) يعد الكتاب من أوسع كتب التراجم الأندلسية التي وصلت إلينا ويحوي على (3605) ترجمة، والكتاب بثلاثة أجزاء، وقد اعتمد ابن الآبار في مصنفه هذا على شيوخ ومؤلفين ذكر بعضهم في مقدمة كتابه منهم: ابن حبيش (ت 584هـ/1188م) قاضي استجة وكان محدثا، وعبد الله بن سفيان التجيبي (ت 589هـ/1193م)، وأبو عمر بن عياد (ت 602هـ/1205م).

– "الحلة السيراء"، لابن الابار لما يتضمن الكتاب من شعر ونثر وتاريخ، والكتاب عظيم القيمة، فهو يتناول تاريخ أعلام المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، وينفرد بكثير من الأخبار التي لا نجدها في مؤلف آخر.

– "الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة" لابن سعيد (ت 685هـ/1286م)، الكتاب تراجم لشعراء الأندلس في القرن السابع الهجري، وفي ترجمته للشاعر كان يذكر

اسمه ونسبه وسنة وفاته، فضلا عن الكتب التي تحدثت عنه ثم يورد نماذج من شعره، وتراجم الشعراء مرتبة حسب حروف المعجم.

– كتاب معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ل أبو زيد عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن علي بن عبد الله الأنصاري الأسيدي، المشهور بالدباغ (ت 696هـ/1297م)، وابن ناجي

حَرّر هذا الكتاب، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، عالمان جليلان على التوالي، ألّفه أولا الإمام: "أبو زيد عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن علي بن عبد الله الأنصاري الأسيدي، المشهور بالدباغ (605-696هـ)"، ثم بعد "الدباغ" أتى الإمام:" أبو الفضل قاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي الغروي القيرواني (ت839هـ)، وقصد إلى كتاب "معالم الإيمان" فأضاف إليه زيادات تكميلية تتعلق بموضوعه، كانت لها قيمتها وأهميتها.

ويعتبر كتاب "معالم الإيمان" مرجعا وثيقا في التراجم، والحياة الثقافية العامة بالقيروان، كما يتضمن إفادات عامة كثيرة عن رجال الفتح المبارك، ومن دخلها من الصحابة والتابعين –رضوان الله عليهم جميعا– ، ونخبة من القادة الموفقين، وكثيرا ما كان يذكر المعارف التاريخية عن تخطيطها ومعالمها وعادات أهلها، وحاراتها وأسواقها، في معرض أحاديثه عن المترجم لهم.

و مدينة القيروان جديرة بعناية الباحثين المؤرخين، فقد كانت مهد الحضارة والعلم، كما كانت مصدر إشعاع للحركات العلمية والأدبية والفكرية إلى جميع بلاد إفريقية. وكتاب "معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان" من أكمل مصادر البحث في هذا الشأن، وقد عُرف "الدباغ" بالأمانة والثقة فيما ينقله ويحرره.

– "الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة"، لعبد الملك المراكشي (ت 703هـ/1303م) يعد الكتاب من أوسع كتب التراجم الأندلسية والمغربية، وعدد تراجمه (4160) ترجمة، منها (4114) ترجمة للرجال و(56) ترجمة للنساء الأندلسيات والغرائب، اوردهن في نهاية الكتاب، والتراجم مرتبة وفقا لحروف المعجم، وهذا المؤلف موسوعة تاريخية برجال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، من الأندلس ومن رحل إليها من أهل المغرب والمشرق .

– "كتاب صلة الصلة"، لابن الزبير (ت 708هـ/1308م) والكتاب ذيلا على صلة ابن يشكوال وفيه يواصل ابن الزبير ذكر تراجم لعلماء وفقهاء ومحدثين وأدباء وشعراء وأطباء ...الخ . حتى عصره.

– "الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة" لابن الخطيب (ت 776هـ)، الكتاب يضم تراجم لشعراء أندلسيين عاشوا في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، واحتوى على (103) مائة وثلاث ترجمة، وكل ترجمة فيها نبذة عن حياة الشاعر وأخباره وبعض شعره.

هذه بعض الأمثلة لمصادر أندلسية ومغربية في التراجم والطبقات التي تكمن أهميتها في توفير المادة للباحثين عن تاريخ تلك القرون والمعلومات المقدمة في هذا الصنف، كما أنها تعد من أهم المصادر الأولية لقرب مؤلفيها زمانا ومكانا في اغلب الأحيان من الشخصيات والأحداث التي كتبوا عنها.

المحاضرة الرابعة

المصنفات التاريخية الإباضية بعد سقوط الدولة الرستمية

بعد أن سقطت الدولة الرستمية بتاهرت سنة 296هـ/909م تفرق الاباضيون بين أقاليم المغرب، كجبل نفوسة وواحة وارجلان، ووادي ريغ واتجهوا نحو تثبيت فكرهم وعقائدهم وتاريخهم وتدوينها، في محاولة منهم لعدم اندثار تراثهم وتاريخهم كما ضاعت الدولة واندثر سلطانهم.

وكان اهتمام علماء الاباضية وفقهائها كبيرا بالجانب التاريخي، خاصة ما يتعلق بتاريخ مذهبهم وأخبار الدعاة الأوائل، وأئمة الدولة الرستمية، وسير علمائهم، فقد كانوا يدرسون ذلك في حلقات العلم المنعقدة في البلدان التي يقطنونها، مستفيدين من الكتب الزاخرة التي بقيت بعد حرق الفاطميين لمكتبة المعصومة في تاهرت، والكتب التي نجت ونفذت تشكلت منها مكتبة جبل نفوسة والتي كانت تحتوي على ألاف من المجلدات في مختلف العلوم، وقادوا حركة جادة لحفظ تراثهم وتاريخهم في محاولة منهم للتصدي للفكر الإسماعيلي الذي كانت الدولة الفاطمية تسعى لنشره بين أتباع المذاهب الأخرى بالمغرب، وانكب مفكرو الاباضية على كتب السلف تصنيفا ومراجعة وتأليفا، وأسفرت جهودهم عن ظهور عدد من الرواة والمؤرخين في هذه الفترة، منهم المؤرخ والنسابة الذي كان ينتمي إلى فرقة الاباضية النكار وهو **(أيوب بن أبي يزيد النكاري مخلد بن كيداد)**، فقد نشا أيوب نشأة مؤرخ ونسابة، وظهرت مواهبه ومعارفه في هذا الجانب عندما بعثه أبوه إلى الأندلس لكسب نصرة الخليفة الناصر لدين الله (300– 350هـ) لثورته على الفاطميين، وهناك التقى بالمؤرخ الأندلسي الشهير محمد بن يوسف الوراق (ت 332هـ)، وروى له أنساب البربر التي دونها يوسف الوراق، ويروي كل من ابن حزم (ت 456هـ)، وابن خلدون (ت 808هـ) روايات أيوب فيما يخص أنساب البربر وأصولهم، مأخوذة من مؤلفات يوسف الوراق عن مدن المغرب المفقودة.

كما ظهر خلال هذه الفترة الراويان **أبو محمد عبد الله بن محمد بن ناصر اللواتي، ومعبد بن افلح الزناتي** (توفي أواخر القرن الخامس الهجري) اللذين فقدت مؤلفاتهما، أما معبد بن افلح فله روايات تاريخية محفوظة في سير أبي الربيع الوسياني، تتعلق بطرائف اباضيي إقليم نفزاوة.

وممن اهتم بالتاريخ والسير من الاباضية في هذا العصر، **أبو حمزة اسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل الو رجلاني** (عاش في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي)، وهو خال المؤرخ الاباضي الشهير أبي زكريا يحي بن أبي بكر الورجلاني، فقد كان مهتما بأخبار التاريخ الاباضي وممن كتب في سير الأئمة والمشايخ، ويعتقد أن أبا زكريا أخذ منه أخبار كتابه المشهور (سير الأئمة وأخبارهم).

واهتم فقهاء الاباضية وعلماؤها بالفكر التاريخي المذهبي، **فأبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي (ت** 471هـ/1078م) هو فقيه ومؤرخ ومتكلم كما وصفته طبقات الدرجيني، وسير الشماخي، درس تلاميذ الاباضية سير مشاهير المشايخ، خلال تنقلاته في بلاد الاباضية، وعنه أخذ المؤرخ أبو زكريا الورجلاني رواياته في التاريخ والسير، حيث يعتبر أبو الربيع المصدر الأساسي في كتابه "**سير الأئمة وأخبارهم**"، كما تدل رواياته عند أبي الربيع الوسياني في كتابه السير، وعند الدرجيني والشماخي على إلمامه بتواريخ الاباضية وسعة علمه بالأخبار، ولأبي الربيع بالإضافة إلى المصنفات الفقهية، مصنف في السير، معروف بسير أبي الربيع المزاتي، واسمه **(طلب العلم وآداب المعلمين)** ويبدو أنه ضمنه طرائف علمية عن مشايخ المذهب، ونصائح للطلبة منها (صونوا علمكم بالسكينة والوقار وحسن الأدب) و (من جهالة العالم أن يفتي كل من يسأله، العالم في علمه كالطبيب في أدويته لا يضع دواء إلا حيث يصلح) ومن المحتمل أن كتابه شمل بعض أخبار المشايخ وسيرهم حتى عرف بسير أبو الربيع.

ومن أبرز مؤرخي الاباضية خلال القرن 5هـ/ 11م **أبو زكريا الورجلاني (يحي بن أبي بكر بن سعيد** (ت 471هـ/1078م) مؤلف أهم كتاب عن تاريخ الاباضية بالمغرب

كمذهب ودولة وأخبار علماء الاباضية وهو "**سير الأئمة وأخبارهم**". وهو من الاباضية الوهبية، ومن تلاميذ الشيخ أبي الربيع المزاتي، لذا كان للأخير وجود وذكر كثير في كتابه وقد عرف أبو زكريا بالفقه والعلم بقواعد المذهب الاباضي ويصفه كل من الدرجيني والشماخي له بالفطنة والذكاء، وأنه عالم بالطبقات، وينقلان عنه عدة مسائل وفتاوى فقهية، وأجوبة في علم الكلام، مما يدل على سعة معارفه المذهبية، ومكانته بين علماء الاباضية، لكن لم تبين كتب طبقات الاباضية تفاصيل حياته ورحلته في طلب العلم، ولا تضيف خيوط مفيدة إلى سيرته تمكننا من معرفة تراثه العلمي وإيديولوجيته، وأشار أبو الربيع الوسياني في سيره إلى أن لأبي زكريا فضل السبق في كتابه أخبار الدعوة الاباضية.

ومما يدل على مكانة كتابه عند الاباضية، وانه المعتمد عند علماء المذهب ومؤرخيه أن كتب طبقات وسير كل من الوسياني والبغطوري والدرجيني والشماخي اعتمدت عليه واتبعت أسلوبه ونقلت منه أخبار كثيرة تخص أعلام المذهب، فقد نقل كل من الدرجيني والشماخي كلام أبي زكريا عن بعض مسائل الفقه من كتاب **سير أبو الربيع الوسياني**، وكتاب أبي زكريا هذا هو من أوائل كتب السير في تاريخ الإباضية بالمغرب، وقد تضمن سردا تاريخيا لأخبار أهل الدعوة ومناقبهم وسيرهم حتى عصره، كما أنه يقدم صورة واضحة وتركيبة تاريخية متماسكة عن تاريخ الدولة الرستمية.

كما ألف **مقرين بن محمد البغطوري النفوسي** وهو من مشايخ القرن 6هـ/ 12م كتابا عنوانه "**سيرة أهل نفوسة**"، أكمل تاليفه سنة 599هـ/ 1202م في قرية جناون إحدى قرى جبل نفوسة، والكتاب على صغر حجمه يبدي اهتماما بقرى جبل نفوسة ومشايخها وعلمائها، وترجم لعدد من النساء في الجبل.

كذلك نجد "كتاب السير" **لأبي الربيع الوسياني سليمان بن عبد السلام** (الذي عاش في النصف الثاني من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي)، وليس كما جاء في عدة مراجع وكتابات حديثة أنه توفي سنة 471هـ، وذلك لأن الشماخي في سيره وضعه في

الطبقة الثانية عشر، وهو كتاب يتناول قواعد المذهب وسير كبار المشايخ وفتاويهم منذ قيام الدولة الرستمية حتى أيامه. وقد أورد فيه الروايات المنسوبة لكل شيخ ترجم له، ثم سلك مسلكا آخر عندما خصص لكل إباضية بلاد المغرب عنوانا يذكر تحته روايات مشايخها، وتضمن معلومات عن النساء في جبل نفوسة ودورهن في الحياة الحضارية، إضافة إلى إبرازه دور العلماء في المجال السياسي، كما أشار أيضا للعلاقات بين الإباضية والفاطميين وأهل المذهب، خاصة المناظرات واشتمل على أخبار متفرقة منها أخبار العزابة والحلقات العلمية.

ومن مؤرخي الإباضية البارزين والمشهورين **أبو العباس الدرجيني أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن يخلف المحاري الإباضي** (ت 670هـ/ 1271م)، عالم من علماء الشريعة، ومتكلم في قضايا العقيدة والإيمان على مذهب الإباضيّة، وله ولع بالتراجم وتقييد أخبار العلماء والأدباء، واهتمّ بالشعر وغلب فن التاريخ على أغلب تصانيفه. لم تهتّم كتب التاريخ والطبقات بوضع تاريخ محدد لولادته، وإنما بالاعتماد على ما ذكره من أنّه ارتحل في أوّل سن البلوغ إلى واحة ورجلان بجنوب الجزائر لطلب العلم، في سنة 616هـ / 1219م. يرّجح أنه ولد سنة 600هـ/ 1204م، ويبدو أنّ ولادته كانت بمنطقة درجين السفلى بنفزاوة. وهو ينحدر من أسرة بربريّة كانت تسكن تمجار وسط جبل نفوسة بليبيا، وقد هاجر جدّه الأعلى الحاج بن يخلف إلى بلاد الجريد، التي كان أغلب سكّانها إباضيين. كان والده من أوّل الشّيوخ الذين أخذ عنهم العلم والأدب، وفي ورجلان تلقّى علوم الدين وفقه الشريعة عن أحد علمائها وأيمتها المشاهير. وفي سنة 633هـ/ 1235م. أبي سهل يحيى بن إبراهيم وهناك أقبل على النظر في كتب التاريخ ومصنّفات المناظرة استأنف طلب العلم بتوزر حيث أشير عليه بأن يأخذ في تأليف كتاب "**طبقات** والجدل، وما لبث أن اتجه إلى جربة **المشايخ**" وهو ما يذكره البرادي في "الجواهر المنتقاة". ينقسم كتاب طبقات المشايخ إلى جزءين كبيرين، الأول في التاريخ والثاني في السيرة.

وأقدم على ضبط تواريخ الولادة والوفاة للعلماء والمتكلمين الفقهاء المترجم لهم، وذكر مصادر إباضيّة أغلبها مفقود في زماننا هذا وعرض لذكر حوادث ووقائع تاريخيّة تتصل بمنطقة بلاد المغرب الإسلامي، كما تطرّق في معرض تراجمه للعلماء والأئمة والمتكلمّين إلى قضايا فكرية دينيّة وعقدية كلامية، وأحيانا لغوية أدبية لها صلة بالسيرة العلميّة للمترجم لهم، أو هي في جانب منها تتصل بطبيعة الجدل الديني والفكري المطروح آنذاك. هذا إضافة إلى إحاطته بجانب مهمّ من تاريخ المغرب، وإيراده لأخبار مهمّة تتصل بتاريخ الدول والإمارات التي شهدتها بلاد المغرب الإسلامي إلى حدود القرن 07هـ/ 13م. وله كتاب آخر في الرد على العمرية الإباضية أتباع عيسى بن عمر ذكره في الطبقات عند الكلام على إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم من أئمة الدولة الرستمية.

وجاء بعد الدرجيني بقرنين تقريبا **أبو القاسم بن ابراهيم البرادي** (كان حيا سنة 810هـ /1407م) الذي ألف كتابا عنوانه "**الجواهر المنتقاة فيما أخل به كتاب الطبقات**" وكتاب الطبقات هو كتاب طبقات المشايخ تأليف العلامة أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني وهو الآخر ينحدر من أسرة علمية عرفت بالعلم والفضل والصلاح والإصلاح، وهو كتاب يمتاز بجمال أسلوبه الأدبي الرائع، وهو من أجل كتب المذهب في تاريخ الدولة الرستمية وتراجم علماء المذهب، غير أنه لم يتطرق إلى أحداث الخليفتين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وهي التي تعرف بأحداث الفتنة أو تاريخ الفتنة، أو الفتنة الكبرى، ورأى البرادي أن ذلك مخل بكتاب الطبقات، على اعتبار أن تلك الأحداث هي الأساس الذي افترقت عليه الأمة إلى فرق ومذاهب، لذلك فهو استدراك على كتاب الطبقات بذكر أحداث الفتنة الكبرى، حيث أن تلك الأحداث تشكل الجانب الأكبر والمهم من كتاب الجواهر، وقد ساق المؤلف بعض أحداث السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم بصورة موجزة، وأيضا ساق تاريخاً موجزا عن الخليفتين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب، كمدخل إلى ذكر أحداث الفتنة الكبرى بصورة مفصلة.

ونختم مؤلفات الإباضية في السير والتاريخ بالشماخي أبو العباس احمد بن سعيد (ت 928هـ/1521م). صاحب كتاب "**كتاب السير**"، يعد هذا الكتاب خلاصة كتب السير الإباضية في بلاد المغرب ويحتوي على مادة علمية غزيرة فيما يتعلق بشيوخ المذهب الإباضي وعلمائه وأئمته من أعلام العهد الأول في البصرة وأعلام المغرب في عهد الرستميين إلى عصر المؤلف وقد أورد معلومات وافية وغزيرة عن الولاة الذين تعاقبوا على ولاية جبل نفوسة وعن الحلقات العلمية والأحداث السياسية التي مر بها الإباضية، كما قدم لنا معلومات وافية عن حركة التجار وعن الحركة الثقافية، وفضلا عن ذلك ساهم في إعطاء صورة واضحة للحركة الإباضية في المغرب منذ بداياته وحتى وفاة المؤلف، ويعتبر هذا الكتاب واحدا من أهم المصادر في تاريخ الإباضية على وجه الخصوص، وذلك لما يتمتع به من منهجية متميزة تتلخص في دقة المؤلف وموضوعيته، حتى انه يذهب أحيانا إلى ترجيح الروايات السنية على الروايات الإباضية.

المحاضرة الخامسة

المصادر الجغرافية المغربية والأندلسية

تشكل المصادر الجغرافية قيمة كبيرة في البحث التاريخي، وهذا لغناها بالمعلومات التي تضمنتها عن الحالة الاقتصادية والاجتماعية لمدن الغرب الإسلامي، مع ذكر المسالك والطرق والمسافات بين محطاتها، وكذلك المنشآت العمرانية التي تميزت بها كل مدينة، ومن أهم المصادر الجغرافية نذكر ما يلي:

1- كتاب المسالك والممالك، لأبي عبيد البكري (المتوفى سنة 487هـ /1094م):

وهو جغرافي أندلسي كتب عن المغرب وهو مقيم بالأندلس, إلا أن الجزء الخاص بالمغرب, يعتبر من أهم الكتب الجغرافية وأكثرها دقة، وذلك لاعتماده على مسالك محمد بن يوسف الوراق، وابن الجزار، وملاحظات التجار والمسافرين إلى المغرب, وهو من أهم المصادر الجغرافية لما احتوى عليه من وصف دقيق للمدن دون إغفال تاريخها وخصائصها المتعلقة بالظروف الاجتماعية والمذهبية والاقتصادية والعمرانية.

2- **كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، لأبي عبد الله محمد الشريف السبتي الإدريسي (المتوفى سنة 560هـ/1165م):**

فرغ من تأليفه سنة 548هـ/1154م، وقد ألفه تلبية لرغبة رجار الثاني ملك صقلية وقد تضمن كتابه المشهور نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، والمسمى أيضًا كتاب روجر أو الكتاب الروجري، وذلك لأن الملك روجر ملك صقليةهو الذي طلب منه تأليفه كما طلب منه صنع كرة من الفضةمنقوش عليها صورة الأقاليم السبعة، ويقال أن الدائرة الفضية تحطمت في ثورة كانت في صقلية، بعد الفراغ منها بمدة قصيرة.

وأما الكتاب فقد غدا من أشهر الآثار الجغرافية العربية، أفاد منه الباحثون في الشرق والغرب معلومات جمة عن بلاد المشرق، فأخذ عنه الفريقان ونقلوا خرائطه، وترجموا بعض أقسامه إلى مختلف لغاتهم، ويعد هذا الكتاب فريد من نوعه استغرق تأليفه 15 عامًا حيث

نهج فيه الإدريسي نهجاً جديداً عن غيره من الجغرافيين المسلمين، فقد وصف العالم ككل ثم قسمه إلى سبعة أقاليم وكل إقليم إلى عشرة أقسام رئيسيه ثم وصف كل قسم ورسم له خريطة وتحاشى فيه الخلط بين التاريخ والجغرافيا وظل كتابه مرجعًا لعلماء أوروبا أكثر من ثلاثة قرون.

وللإدريسي كتاب آخر هو "أنس المهج وروض الفرج"، وموضوع هذا الكتاب هو تركيب الشبكة الطرقية، وقد وضعه الإدريسي لتحديد المسافات بين المدن والمراكز المختلفة الأخرى، ويستفاد من هذا الكتاب تحديد المسافات التي تربط كل مدينة مع المدن التي من حولها.

3- كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، لمؤلف مجهول مراكشي مجهول (يكون حيا في القرن السادس الهجري/12م):

جاء على ذكر أغلب مدن المغرب الأوسط معتمدا على من سبقه من الجغرافيين وخاصة البكري، وهو ما جعل معلوماته تعود إلى القرن السادس الهجري، غير انه حاول في بعض المواضيع تحيين معطيات القرون السابقة عليه، وقد تكرر نفس الأمر بالنسبة لكتاب **"آثار البلاد وأخبار العباد"**لـ" زكريا بن محمد بن محمود القزويني" المتوفى سنة 682هـ/1283م، إلا أنه ضمن هو الآخر بعض المعطيات التي تخص القرن السابع الهجري/13م، بالإضافة إلى ضبطه لبعض المصطلحات الجغرافية والإدارية ذات العلاقة بهذه الفترة.

4- "**كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: المسالك والآثار والأقاليم**"، وهو السفر الأول إلى جانب قسمه الذي حققه حسن حسني عبد الوهاب تحت عنوان: "وصف إفريقية والأندلس: أواسط القرن الثامن للهجرة، لـ" أبي العباس أحمد ين يحيى بن فضل العمري" توفي سنة 748هـ/1347م، وقد أخذ هذا المصدر كغيره من الكتب الجغرافية، والكتب التاريخية أيضا السابقة له، مما جعل معطياته لا تتوافق مع القرن الثامن الهجري.

5- **كتاب إفريقيا** لـ" مارمو لكربخال المولود بغرناطة في أوائل القرن العاشر الميلادي/ السادس عشر الميلادي: وقد ألف هذا الكتاب حوالي سنة 979هـ/1571م، وقد وفر لنا معطيات عن الفترات السابقة التي نقل جزءا كبيرا منها عن حسن الوزان الفاسي، كما أفادنا المؤلف بمعطيات نقلها عن المصادر اللاتينية القديمة وحاول مقارنتها بزمن تأليفه الأمر الذي جعله يسقط في بعض الأخطاء على مستوى تحديد بعض المواضع والتسميات.

المحاضرة السادسة

مؤرخو الشيعة في بلاد المغرب

عرفت مرحلة النفوذ الفاطمي في بلاد المغرب خلال القرن الرابع للهجري/العاشر ميلادي بروز العديد من المؤرخين الشيعة مستغلين تعاظم النفود الشيعي في المنطقة وبها ظهروا أكثر تقربا من السلطة وذلك بفضل ما عرفوا به من موسوعية الثقافة، وبالرغم من عدم وجود ترجمة وافية تقودنا للتعرف عليهم أكثر، وذلك بسبب الصراع المذهبي والتقلقل السياسي التي كانت تعيشه بلاد المغرب آنذاك.

غير أن مصنفاتهم التي وصلت إلينا جاءت لتوضح علاقة المؤرخين بالدولة الفاطمية والذي إنعكس جليا على موضوعاتهم فكانت جلها تتمحور حول المذهب الإسماعيلي والتواجد الفاطمي في بلاد المغرب، نحاول في هذه المحاضرة الوقوف على ما سبق ذكره من عوامل أثرت على الكتابة التاريخية لمؤرخي الشيعة والتعرف على ما حملته لنا مصنفاتهم من مادة تاريخية.

أولا: المؤرخون المغاربة

1- محمد بن محمد بن خيرون المعافري (ت 301هـ/914م): أبو جعفر محمد بن محمد بن خيرون المعافري، أصل أسرته من الأندلس إستقر أبوه بالقيروان تتلمذ على يد أبيه وكانت له رحلة إلى بلاد المشرق لطلب العلم أخذ فيها عن مرويات المحدثين والقراء، عاد إلى بلاد القيروان محملا بكتب المذهب الظاهري وغيره، وعند دخول الشيعة لبلاد المغرب تحول فكره إلى المذهب الشيعي وخدمة الدولة الفاطمية، ألف كتابا في الانساب للخليفة المهدي عنوانه "نسب الشيعة واخبارهم"، غير أن هذا الكتاب مفقود ويرجح من خلال العنوان أن موضوعه تناول فيه نشأة الشيعة والدفاع عن نسبهم ومشروعية حكمهم وهذا بناءا عن ما واجهته الدولة الفاطمية من طعن في نسبها لآل البيت.

2-**أبو عبد الله بن الأسود بن الهيثم (عاش في القرن الرابع هجري):** أصل أسرته من الكوفة بالعراق دخل جده الهيثم بن عبد الرحمان إلى القيروان في فترة عصر ولاة العباسيين

في بلاد المغرب، وهي أسرة تدين بالمذهب الشيعي، يعتبر بن الهيثم أحد الدعاة البارزين وصاحب مكانة مرموقة عند الفاطميين وصاحب الداعية أبو عبد الله الشيع.

الف كتابا عنوانه "المناظرات" تطرق فيه إلى الدعوة الشيعية في بلاد المغرب وتفشيها مع الداعية أبو عبد الله الشيعي ودخوله للقيروان ومنع صلاة التراويح فيها، وذكر تحرر الإمام المهدي من السجن المدراري بفضل داعيته ومرورهم بإيكجان لغاية وصولهم للقيروان.

3- حيدرة بن محمد بن إبراهيم الكتامي (عاش في القرن الرابع الهجري): لم نجد له ترجمة في كتب التراجم، لكن من خلال كتابه الذي ألفه يتبين أنه قد شهد رحيل الفاطميين إلى مصر، ويعتبر من رجال كتامة المقربين للحكم الفاطمي.

ألف حيدرة كتابا عنوانه "السيرة الكتامية" وصلنا منه إقتباسات في كتاب "عيون الأخبار" لإدريس القرشي (ت 872هـ/1468م تتعلق برحلة المعز من بلاد المغرب إلى مصر ومن كان معه من الرجال البارزين خاصة من كتامة، وما يمكن إستخلاصه هو أن موضوع السيرة توقف عند ذكر أخبار كتامة ودورها في خدمة الفاطميين والمناصب التي شغلوها في الدولة.

4- القاضي النعمان المغربي (ت 363هـ/973م) الداعية والفقيه والمؤرخ، مؤرخ الدولة الفاطمية الأول، واسمه الكامل هو أبو حنيفة النعمان بن أبي عبد الله محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي. كان أبوه راويا للاخبار ويمتاز بالذكاء والفطنة كما شهد له أهل القيروان.

وقد إرتبط اسم القاضي النعمان دائما بالتميمي وهو ما يدل على عروبته الأصيلة، إلا أن هناك من دحض فكرة نسبه العربي وألحقه بأنساب أخرى، وكني النعمان بأبي حنيفة النعمان لكي يضاهي به الفاطميين أبا حنيفة النعمان فقيه الدولة العباسية ويعرف في الدولة الفاطمية بإسم "القاضي النعمان" لتوليه منصب القضاء، هذا فضلا عن عدة ألقاب أخرى.

ولد في القيروان سنة 259هـ/873م، أما وفاته كانت في مصر في (363هـ/973م)، والراجح أن سبب وفاته هو الوباء الذي أصاب مصر، ودفن في بيته ثم نقل إلى مقبرة القرافة بالفسطاط.

ألف العديد من الكتابات وفي مجالات متنوعة، لكن الذي يهمنا هي مؤلفاته التاريخية:

أ- كتاب "المجالس والمسايرات": وهو يتضمن سيرة الخلفاء الفاطميين بالمغرب خاصة المعز لدين الله إذ يعتبر الكتاب سيرة ذاتية له بالدرجة الأولى، حيث ذكر فيه النعمان أوصاف المعز وتفاصيل مجالساته ومعاملاته بدقة وتسجيل كل صغيرة وكبيرة في خله وترحاله. كما عرض فيه مجموعة من الأخبار عن الدولة الفاطمية في مرحلتها المغربية منها تطرقه إلى ثورة النكاري أبي يزيد مخلد بن كيداد في عهد القائم والمنصور، وكشف أيضا الصراع الحاد بين الدولة الفاطمية والأموية بالأندلس من أجل إخضاع دولة الأدارسة لهم، بالإضافة إلى تطرقه لقبيلة كتامة ودورها في القضاء على الفتن والثورات ومساندة الفاطميين. وفيه أيضا بعض الإشارات الاقتصادية كحديثه عن بعض الأعمال التي قام بها في بعض الكور وأمر بحفر الآبار فيها وزرع الأشجار المنتجة، وتكلم أيضا عن آفة الجراد وأضرارها على المحاصيل وغيرها من الآفات التي تعرقل الإقتصاد، كما ذكر أيضا صناعة المعجون والعقاقير وغيرها من الصناعات.

ب- كتاب "افتتاح الدعوة": الذي تحدث فيه عن بداية الدعوة الإسماعيلية وإنتشارها في اليمن مع الداعية إبن الحوشب وصديقه ابن الفضل وعلاقتهم بالأئمة المستورين، وتعرض إلى أخبار الدولة الأغلبية، ورحلة الداعي أبو عبد الله الشيعي إلى غاية وصوله إلى إيكجان وهناك بادر في نشر دعوته وإخضاع القبائل له، واستيلائه على مدن المغرب الأوسط وإفريقية الواحدة تلو الأخرى وتعاظم سلطانه في البلاد.

وتطرق أيضا إلى رحلة الإمام المهدي من سلمية ومروره بمصر بزي تجار إلى غاية وصوله إلى سجلماسة أين قبض عليه الحاكم المدراري وسجنه، ثم تحدث عن فرار الحاكم

الأغلبي من رقادة ليدخلها أبو عبد الله الشيعي ويقوم بتنظيم دولته في المدينة، وذكر مسيرة الداعية الإيكجاني إلى سجلماسة وتخليص الإمام المهدي وإبنه القائم وسيرهما إلى رقادة والقيروان، ثم ولج لذكر مقتل الداعية الشيعي وأخوه وذكر أيضا بعض من أخبار الخلفاء الفاطميين بالمغرب.

ج- كتاب "شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار"، الذي يحتوي على ثلاث مجلدات عرض فيه النعمان سيرة الأئمة أبناء علي بن أبي طالب ورد الشبهات من طرف المخالفين من أهل السنة، تطرق في المجلد الأول إلى ذكر الأحاديث التي يستدل بها الشيعة في إمامة علي رضي الله عنه وفضائله مثل حديث الرسول صلى الله عليه وسلم قوله: "من كنت مولاه فعلي مولاه"، وغيرها من الأحاديث، والمجلد الثاني ذكر مناقب علي رضي الله عنه وسيرته مع ذكر الأحاديث والشواهد في ذلك، والمجلد الثالث تضمن مكانة علي بن أبي طالب عند الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال مشاركته في الغزوات، وتكلم عن آل البيت وفضائلهم إلى غاية عهد عبيد الله المهدي، كما ذكر شيعتهم ووصايا الأئمة لهم.

د- كتاب "المناقب والمثالب"، وقد ذكره بنفسه في كتابه "شرح الأخبار" موردا مضمونه بإختصار حيثٌ قال: "وقد ألفت كتابا سميته كتاب المناقب والمثالب ذكرت فيه فضل هاشم وولده، وما له ولهم من المناقب في الجاهلية والإسلام، وفضلهم في ذلك على عبد شمس ولده، ومثالب عبد شمس وولده في الجاهلية والإسلام"، وقدم فيه القاضي النعمان عرضا حول عبد مناف بن قصي حيث ذكر مناقبه ونسبه وشرفه، بالمقابل ذكر مثالب عبد شمس وإبنه أمية، وتحدث عن مناقب آل البيت من ذرية علي رضي الله عنه، وتطرق بالمقابل إلى فترة الخلافة الأموية بالشام ثم تأسيسها في الأندلس وهذا دائما بذكر مثالبهم، وتحدث كذلك حول المهدي الموعود والأحاديث النبوية بشأن ظهوره.

هـ- ألف منظومة "ذات المنن" تقع في جزئين وتناولت سيرة المعز لدين الله الفاطمي، تكلم فيها عن أخبار الخليفة يوما يوما وقتا وقتا خاصة وأن القاضي النعمان كان أقرب الناس للمعز يسجل كل يومياته وأعماله، ونجد للقاضي النعمان منظومة أخرى تسمى "ذات المحن"

هي الأخرى تقع في جزئين موضوعها حول سيرة النكاري أبو يزيد وثورته التي كادت تعصف بالوجود الفاطمي في بلاد المغرب الإسلامي.

5- إبن الجزار القيرواني (ت 369هـ/980م): أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد بن الجزار القيرواني طبيب ومؤرخ، ولد بالقيروان في حدود سنة 285هـ/898م على عهد الأمير الأغلبي إبراهيم الثاني تشتهر أسرته إبن الجزار بالطب الذي أخذ منها علومه كانت له مواقف مشهودة يحضر جنائز الفقراء وأعراسهم.

وكان ابن الجزار ينهض كل عام إلى المرابطة فيذهب إلى المنستير وهو رباط مشهور، فيمضي هناك طول أيام الصيف ليعود بعدها للقيروان، وأورد صاحب كتاب رياض النفوس قوله في مذهب إبن الجزار قائلا: "وكان إبن الجزار على خلاف السنة" مما يوضح ميله للتشيع وهو ما نلاحظه من خلال علاقته المتينة بأبي طالب عم الخليفة المعز لدين الله ومؤلفاته التي أخصها للدولة الفاطمية، وفي وقت ما قرر ابن الجزار الرحيل للأندلس لكنه لم ينفذ ذلك وبقي في القيروان عاش ردحا طويلا من العمر فقد بلغ عمره ما يربوا الثمانين أو أكثر ومات عتيا بالقيروان خلال سنة 369هـ/980م.

ألف ابن الجزار العديد من المؤلفات التاريخية التي تميزت بتنوعها وشمولها، فقد صنف في المغازي والطبقات والتراجم وتاريخ الدول، ومن المؤسف ان كتبه هذه جميعها تعتبر في حكم المفقودة ولكن بقيت شذرات منها في عدة مصادر مغربية ومشرقية، وتدل هذه الشذرات على أهميتها التاريخية وغزارة مادتها. ومن مؤلفاته:

أ- كتاب "مغازي إفريقية" وهو مفقود، والذي تم ذكره عند أبي عبيد البكري (ت 487هـ/1094) في مسالكة قائلا: "وقال أبو جعفر أحمد بن إبراهيم المتطبب القيرواني في مغازي إفريقية"، تطرق فيه إبن الجزار إلى فتح بلاد المغرب وذكر حوادثه، ولم يكتفي بذكر أخبار فتح إفريقية والمغرب بل تعداه إلى ذكر فتوحات المسلمين في بلاد الأندلس وذلك حسب رواية صاحب كتاب الإستبصار حيث قال: "قال أبو جعفر أحمد بن إبراهيم المتطبب في كتاب مغازي إفريقية، أن موسى بن نصير لما فتح جزيرة الأندلس...".

ب–كتاب "طبقات القضاة"، وهو في عداد المفقودات غير أن القاضي عياض اليحصبي (ت 544هـ/1149م) ذكره في مداركه قائلا: "قال إبن الجزار في كتاب طبقات القضاة كان إبن فروخ فقيها وورعا، وحل في طلب العلم، وكان يكاتب مالك بن أنس في مسائل ويجاوبه مالك"، ومن خلال إقتباسات القاضي عياض من كتاب طبقات القضاة يرجح أن ابن الجزار خصصه لتراجم العلماء والفقهاء الذين تداولوا على قضاء إفريقية في عصره.

ج– "التعريف بصحيح التاريخ"، يعتبر هو الأخر من الكتب الضائعة وجاء ذكره عند ياقوت الحموي (ت 626هـ/1229م) بقوله: "...ألف فيه كتابا رأيته في مجلد يزيد على العشر سماه "التعريف بصحيح التاريخ".

يتضح من هذا القول أن كتاب إبن الجزار كان شاملا في موضوعاته وذكر فيه أخبارا كثيرة في التاريخ بالإضافة إلأى أنه ضمنه جزء في تراجم علماء المالكية في مصر والمغرب والأندلس.

وقد حرص إبن الجزار في ترجمته لمختلف الشخصيات المغربية والمشرقية على ذكر شيء من علومهم ورحلاتهم وطرائف من أخبارهم مع تدوين سنوات وفاتهم، و هذا ما جاء في قول إبن أبي أصيبعة (ت 668هـ/1270) في كتابه عيون الأنباء قائلا: "وهو تاريخ مختصر يشتمل على وفيات علماء زمانه، وقطعة جميلة من أخبارهم".

د– كتاب "أخبار الدولة"، وهو خاصا بالدولة الفاطمية، وهو من كتبه الضائعة والذي ذكره إبن أبي أصيبعة بقوله: "كتاب أخبار الدولة يعني إبتداء دولة الإمام أبي محمد عبيد الله المهدي الذي ظهر في المغرب"، ومن الراجح أنه إشتمل على الأخبار المتصلة بالدولة الأغلبية وزوال حكمهم وقيام حكم الفاطميين.

6– العتقي الفرياني (ت 385هـ/395م): أبوعبد الرحمان محمد بن عبد الله بن محمد العتقي الفرياني الإفريقي منجم وفلكي ومؤرخ، يطلق عليه الفرياني نسبة إلى قرية فريانة قرب سبيطلة

بإفريقية، إتصل بخدمة الفاطميين بالمهدية إلى غاية رحيل المعز لدين الله إلى مصر حيث إرتحل معهم أبو عبد الرحمان ولم يزل فيها إلى أيام الخليفة العزيز بالله إبن المعز.

ألف كتابا في التاريخ عنوانه "التاريخ الجامع" وهو من الكتب الضائعة، ذكره الزركلي بأنه كتاب بلغ به أيام الخليفة العزيز بالله، والأرجح أن العتقي أورد فيه تاريخ المغرب منذ العهود القديمة إلى غاية رحيله مع الفاطمين وضمنه فيه أخبار المعز والعزيز بالله في مصر، وقد ذكر إبن ماكولا (ت 486هـ/1093م) في كتابه "الإكمال" أن للعتقي كتابا في تاريخ المغاربة، والأقرب أنه يقصد كتابه التاريخ الجامع.

وذكرت المصادر أيضا أن للعتقي كتابا تاريخيا آخر ذكر فيه أخبار العرب من بني أمية وبني العباس وذكر شيء من محاسنهم وجميل أفعالهم. وعندما وصل إلى مسامع الخليفة العزيز بالله أستدعاه ووبخه، فلزم العتقي منزله ولم يزل فيه تحت غضب الخليفة إلى غاية وفاته يوم الثلاثاء لأربع خلون من رمضان سنة (385هـ/995م).

ثانيا: المؤرخون الوافدون إلى بلاد المغرب

1-**جعفر بن منصور اليماني (ت 363هـ/973م):** هو جعفر بن الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان الكوفي، ثاني ذرية أكبر دعاة اليمن إبن الحوشب ولد حوالي سنة 280هـ/893م، ونتيجة إختلافه مع اخيه الذي كان يراس الدعوة في بلاد اليمن قرر الذهاب إلى بلاد المغرب للإلتحاق بالإمام المهدي، سنة 322هـ/934م فوجد الخليفة المهدي قد توفي وخلفه إبنه القائم الذي رحب به وأنزله أحسن منزلة وبعد فترة وجيزة صار من أكبر الدعاة الفاطميين في بلاد المغرب، غير أنه لم يلبث طويلا حتى توفي سنة (346هـ/957م).

ألف كتابا عنوان "سرائر وأسرار النطقاء" ضمنه أخبار وقصص الأنبياء من آدم عليه السلام واستطرد بذكرهم الواحد تلو الآخر وذكر أخبارهم، ثم ولج إلى ذكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما شهدته دعوته من صدى واسع الإنتشار، وفي ختام الكتاب تحدث عن وفاة جعفر الصادق وما حقَ في إمامة إبنه إسماعيل.

2- **محمد بن محمد اليماني (عاش في القرن الرابع هجري):** لم تعنى المصادر لترجمة هذه الشخصية، غير أن من كتابه "سيرة الحاجب جعفر" نستنتج أنه أحد أتباع جعفر الحاجب، هذا الأخير الذي يعتبر أقرب الناس إلى الإمام المهدي كان حاجبا له ومرافقه في رحلته من سلمية إلى بلاد المغرب. وكتابه "سيرة الحاجب جعفر" تكلم في مضمونه عن سيرة أحد رجال البلاط الفاطمي وهو جعفر بن علي حاجب الإمام المهدي، وتناول المؤلف أطوار حياته منذ نشأته، وذكر أيضا نشاط جعفر بالمشرق ورحلته إلى بلاد المغرب. كما كشف لنا في هذا الكتاب العديد من الجوانب الغامضة في مرحلة الستر من الدعوة منها وجود جواسيس للإمام المهدي في البلاط العباسي، وتطرق إلى رحلة المهدي وسجنه في سجلماسة إلى غاية تخليصه من طرف داعيته أبو عبد الله الشيعي، وتطرق كذلك لذكر بعض الوظائف الهامة في الدولة مثل وظيفة الحاجب والكاتب صاحب الدواوين.

3- **العزيزي الجوذري (ت 390هـ/1000م):** هو أبو علي المنصور العزيزي الجوذري الكاتب، لم تذكر حياته كتب التراجم، وكل ما نعرفه أنه كان أحد أتباع الأستاذ جوذر هذا الأخير الذي تقلد مناصب مهمة في الدولة الفاطمية منها الكتابة، وعلى الأرجح أن العزيزي يكون صقلبيا وذلك لصلته الكبيرة بالأستاذ جوذر الصقلبي وخدمته له، إرتحل الجوذري مع الفاطميين إلى مصر وتوفي بها سنة 390هـ/1000م.

ألف العزيزي الجوذري كتاب "سيرة الأستاذ جوذر"، الذي ركز فيه كثيرا عن شخصية جوذر أحد أكبر شخصيات العصر الفاطمي، تتبع مؤلف السيرة أطوار حياة جوذر منذ دخوله في خدمة الدولة الفاطمية، وذكر لنا مناصبه في الدولة والتي تدرج فيها إلى أن أصبح صاحب بيت المال، وصار إسمه يكتب على الطرز، وتولى أمور الأسرة المالكة وأصبح يستفتى في المشكلات ويؤتمن على الأسرار الكبرى التي تتصل بالخلفاء وولاة العهد، بالإضافة إلى إحتواء الكتاب عن وثائق رسمية ومراسلات بين الأستاذ جوذر والخلفاء الفاطميين.

كما أورد فيه الكثير من الأخبار الخاصة بالدولة الفاطمية في عدة مجالات منها السياسية في حديثه عن ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد ونتائجها، وتطرقه للعلاقات الفاطمية مع بلاد الروم وغيرها، إضافة إلى كشفه عن بعض المكاتبات التي كانت بين الدولة الفاطمية والأموية وذكره لرسوم ونظم القصر وإدارة الدولة، وتطرق في الأخير إلى رحيل الفاطميين إلى مصر وخلال الرحلة توفي أستاذه جوذر قبل وصوله إلى مصر.

4- أحمد بن إبراهيم النسيابوري (عاش في القرن الرابع هجري): ولد بمدينة نيسابور من بلاد فارس، وتعتبر نيسابور من الأقاليم الكبرى التي تخضع للدعوة الإسماعيلية آنذاك، فانخرط أحمد في تنظيمات الدعوة السرية الإسماعيلية، إتصل بخدمة الخلفاء الفاطميين وألف لهم عدة كتابات أبرزها كتاب "إستتار الإمام" كشف فيه السيرة الذاتية للإمام في مرحلة الستر وعن جماعته وتعد هذه المرحلة إحدى الفترات غموضا في مجال الدعوة الإسماعيلية، حيث يكون فيها الدعاة ظاهرين والأمام مستور وحاول المؤلف كشف العلاقة بين الإثنين، وأوضح لنا الجانب التنظيمي للدعوة وذلك من خلال علاقة الإمام بدعاته، وكشف أيضا عن العلاقة بين الإمام المهدي والقرامطة وعلاقته مع الخلافة العباسية أيضا، ليتطرق في الأخير إلى رحلة المهدي وعدد لنا أسباب خروجه من سلمية منها إشتداد العباسيين في طلبه وإنشقاق بعض الدعاة عنه، وقدم لنا أخبارا حول رحلة المهدي إلى سجلماسة.

المحاضرة السابعة

الكتابة التاريخية في الأندلس من النشأة إلى نهاية القرن الرابع الهجري

يعد عبد الملك بن حبيب السلمي (ت 238هـ/ 852م) أول المؤلفين الذين قامت على أيديهم بدايات التدوين التاريخي في الأندلس، واسمه الكامل هو أبو مروان عبد الملك بن حبيب بن ربيع بن سليمان بن هارون بن جلهمة بن عباس بن مرداس السلمي. أصله من البيرة وعاش في قرطبة فأخذ العلم عن جلة من مشايخها مثل زياد بن عبد الرحمن والغازي بن قيس وصعصعة بن سلام، ثم رحل إلى المشرق وتردد على حلقات الدرس هناك لاسيما في المدينة المنورة حيث درس الفقه على مذهب مالك بن انس ثم رحل إلى مصر ودرس على علمائها ثم عاد إلى بلاده واشتغل بالتعليم والتأليف حيث عُرف بكثرة مصنفاته بعضها في الأنساب والفلك والطب والأخلاق والشريعة، يقول عنه ابن الفرضي: وكان عبد الملك بن حبيب– رحمه الله– نحويا عروضيا شاعرا، حافظا للأخبار والأنساب والأشعار طويل اللسان متصرفا في فنون العلوم.

وكان من أبرز مؤلفاته الواضحة التي تعتبر أحسن شرح على موطأ الإمام مالك، وقد ضاعت معظم كتبه ولم يبقى منها إلا كتابه المسمى "مبتدأ خلق الدنيا" أو "استفتاح الأندلس" المعروف بتاريخ عبد الملك بن حبيب الألبيري الذي يعد أول كتاب في التاريخ الأندلسي، وقد بدأ ابن حبيب كتابه هذا بالحديث عن بدء الخليقة، وتاريخ الأنبياء والرسل، وصولا إلى سيرة النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– وهجرته، ثم تتبع بغد ذلك تاريخ الخلفاء إلى عهد الوليد بن عبد الملك الذي فُتحت الأندلس في عهده ثم أرخ لفتح الأندلس وأخبارها منذ دخول طارق بن زياد سنة 92هـ/ 711م إلى سنة 275هـ/ 888م التي بدأ فيها حكم الأمير محمد بت عبد الرحمن الأوسط للأندلس.

لكن ما يلاحظ أن القيمة العلمية لهذا الكتاب تبدو ضئيلة جدا لما يشوبه من أساطير وخوارق خاصة ما تعلق منها بدور موسى بن نصير وفتوحاته بالأندلس.

وكان معتمده في ذلك الروايات المصرية التي كان يرويها الشيوخ المصريين من أمثال الليث بن سعد المتوفى سنة 175هـ/791م وعبد الله بن وهب المتوفى سنة

197هـ/812م على تلاميذهم والتي اختلطت بالأساطير التي يصفها المستشرق الفرنسي دوزي وكأننا نستمع لقصه من قصص ألف ليلة وليلة وهذا يشير إلى مدى التأثير المشرقي والمصري خاصة على الكتابة التاريخية في الأندلس في هذه المرحلة.

وهناك شخصية أخرى أسهمت في كتابة التاريخ الأندلسي وهو محمد بن موسى الرازي (ت 277هـ/980م)، والد المؤرخ والجغرافي الكبير أحمد بن محمد الرازي، وجد ابنه المؤرخ عيسى بن أحمد. كان محمد الرازي تاجرا متجولا من المشرق من أهل الري يفد على أمراء بني أمية في الأندلس فتوطدت علاقتهم به حتى أصبح مشاورهم وسفيرهم إلى دولة بني الأغلب في المغرب الأدنى، وكان إلى جانب ذلك ضليعا في العلوم والأدب والتاريخ.

صنف كتابا في التاريخ سماه "كتاب الرايات" وهو عبارة عن تاريخ عام للأندلس حتى نهاية عصر الخليفة الحكم المستنصر، ضمنه معلومات قيمه عن دور القائد موسى بن نصير في فتح الأندلس وكيفية دخوله إلى البلاد وخططه في فتحها مع القبائل العربية التي رافقته وفيه تفصيلات عن هذه القبائل وتجمعاتها ورياتها التي كانت تحارب تحت ظلها. والى هذه الرايات تعود نسبة اسم الكتاب كما يحتوي على معلومات مهمة عن إجراءات موسى بن نصير في تقسيم أراضي الأندلس وتعيين الأخماس وكيفية معاملة السكان المحليين الذين فضلوا دفع الجزية والبقاء والاحتفاظ بديانتهم. إلا أن هذا الكتاب يعد في جملة الكتب المفقودة لكن هناك من المؤرخين من أشاروا إليه ونقلوا منه نصوصا في مؤلفاتهم. كأحمد الرازي وابنه عيس، كذلك في كتاب ابن غالب الموسوم بـ "فرحة الأنفس" ولدى ابن الشباط وابن الأبار وابن الخطيب فضلا عن المقري في نفحه.

وقد ذكر بعض المؤرخين محاولات رائدة أخرى في كتابة تاريخ الأندلس ترجع في زمنها إلى القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي قام بها معارك بن مروان وهو أحد أحفاد موسى بن نصير ويشير الحميدي صاحب كتاب جذوة المقتبس إلى أن "معاركا" قد ألف كتابا في تاريخ الأندلس تناول فيه دور موسى بن نصير في فتح البلاد وما جرى له فيها من أمور.وهذا الكتاب مفقود في الوقت الحاضر، ويرى عبد

الواحد ذنون طه حسب ما ذهب إليه محمود علي مكي أن القسم الطويل الذي يدور حول حياة موسى بن نصير من كتاب "الإمامة والسياسة" المنسوب لابن قتيبة الدينوري مأخوذ من كتاب معارك بن مروان حفيد موسى بن نصير. غير أن هذه الروايات تغلب عليها الصفة الأسطورية والخرافية التي تهدف إلى إبراز الدور البطولي والأسطوري الذي قام به موسى بن نصير خلال عمليات الفتح.

وفي النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي أنهى الأندلسيون محاولات التدوين التاريخي المتأثرة بالمشرق وابتعدوا عن الروح الأسطورية والخرافية في رواياتهم، حيث ظهر منهم مؤرخون حاولوا التجديد والتركيز على موضوعات خاصة بواقع الحياة في الأندلس ومن هؤلاء المؤرخ أبا محمد عبد الله بن عبيد الله الأزدي الملقب بالحُكيم (ت 341هـ/ 952م) –بضم الحاء وتشديد الياء– والذي كان ذا حظ من علم اللغة وحفظ الأخبار والأنساب، ألف كتابا في الأنساب عنوانه "انساب الداخلين إلى الأندلس من العرب وغيرهم" أهداه إلى الخليفة عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله (300–350هـ/912—961م).

والشخصية الأخرى التي كان لها شأن في تدوين تاريخ الأندلس هو الرازي، أبو بكر احمد بن محمد بن موسى بن بشير الرازي الكناني، مؤرخ وجغرافي، ونحوي، وأديب، ولد في الأندلس يوم الاثنين من ذي الحجة سنة 274هـ/ 888م كان والده تاجرا متجولا من المشرق من أهل الري ببلاد فارس وكان منذ صغره يطلب العلم، ويميل إلى الأدب، ثم غلب عليه حب البحث عن الأخبار التاريخية والتنقيب عنها. وتتلمذ الرازي على شيوخ محدثين قرطبيين، ذوي مكانه عالية، من أمثال أحمد بن خالد (ت 322هـ/933م) وقاسم بن اصبغ (ت 340هـ/951) وكان تأثير الشيخ قاسم بن أصبغ الجياني على الرازي كبيرا، لان ابن اصبغ اشتهر بمؤلفات عديدة تتناول مختلف العلوم الدينية والدنيوية، ولا سيما موضوع الأنساب وهذا واضح في كتابه الموسوم بـ: الاستيعاب في انساب مشاهير أهل الأندلس.

ويذهب النقاد إلى اعتبار أحمد بن محمد الرازي أبرز المؤرخين خلال هذه الفترة؛ من خلال مصنفاته التي أسهمت في ارتقاء علم التاريخ إلى مرحلة النضوج إذ أضفى على الأندلس هوية إقليمية من خلال جملة من مؤلفاته في التاريخ والجغرافية

الأندلسية، وهي الكتب التي سوف تفتح الأفق واسعا للمؤلفين الأندلسيين الذين جاءوا بعده؛ فقد ذكر ابن حزم أن الرازي ألف كتابا في أخبار الأندلس وآخر في"صفة قرطبة" يتحدث فيه عن خطط المدينة ومنازل عظمائها، كما أنه كتب أيضا موسوعة ضخمة على أنساب العرب في الأندلس بعنوان "كتاب الاستيعاب في مشاهير أهل الأندلس" الذي يحتوي على خمسة مجلدات كبيرة. وللرازي أيضا كتاب ضخم عن طرق الأندلس، وموانئها ومدنها الرئيسية، وتجمعات جندها وهو الكتاب المسمى بـ "مسالك الأندلس ومراسيها وأمهات أعيان مدنها وأجنادها الستة" ويضيف ابن الأبار أنّ للرازي كتابا آخر يتكلم فيه عن موالي الأندلس المشاهير بعنوان "أعيان الموالي". كما له كتب متفرقة، اطلع عليها ابن حزم أيضا، وهي: أخبار عمر بن حفصون القائم بريه ووقائعه وسيره وحروبه، وأخبار عبد الرحمن بن مروان الجليقي القائم بالجوف، وأخبار بني قسي والتجيبيين وبني الطويل في الثغر.

لكن ما يؤسف له أن هذه التصانيف الضخمة التي ألفها الرازي قد ذهبت جميعها مع الكثير من كتب الأندلس، بسبب ما تعرضت له البلاد من أحداث وأزمات، عير أن هذه الخسارة قد عوضها المؤرخون المتأخرون من خلال اقتباسهم للكثير من رواياته ونصوصه في مؤلفاتهم، وهكذا كانت معظم كتب الرازي المصادر الأساسية الأولى لكثير من المؤلفين العرب الذين بحثوا في تاريخ وجغرافية الأندلس أمثال (ابن حيان، وابن حزم ابن الآبار، ابن الأثير، ابن عذاري، ياقوت الحموي، ابن الخطيب الحميري، والمقري).

ويعًد محمد بن حارث الخشني (ت 361هـ/ 971م) ابرز مؤرخ اهتم بالتراجم والطبقات وهو قيرواني المولد من افريقية لكنه رحل إلى الأندلس وحل بمدينة قرطبة وتتلمذ على كبار علمائها من أمثال محمد بن عبد الملك بن ايمن. وقاسم بن اصبغ واحمد بن عباده. وكان للخشني اهتمامات متعددة، أهمها الحديث والفقه واللغة، وقد نال تشجيع الخليفة الأموي الحكم المستنصر بالله الذي طلب منه تأليف كتاب القضاة بقرطبة وأباح له الاستفادة من مكتبة القصر الملكي التي كانت عامرة بالكتب والمصادر المختلفة واهم مصنفاته:

1-أخبار الفقهاء والمحدثين. 2- قضاة قرطبة. 3-طقات علماء افريقية. 4- منافب سحنون. 5-الاقتباس. 6-طبقات فقهاء المالكية. 7- أصول الفتيا في الفقه على مذهب مالك.

وهناك مؤرخ آخر وهو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عبدا لله الوراق القروي مؤرخ وجغرافي ولد في القيروان في أسرة يرجع أصلها إلى مدينة وادي الحجارة في الأندلس، وقد نشأ وترعرع في مدينة القيروان وأصبحت له شهرة واسعة في تاريخ وجغرافية بلاد المغرب رحل إلى قرطبة في أيام الخليفة الحكم الثاني المستنصر بالله (350هـ -395هـ/961-976م) واتصل بالبلاط الأموي حيث رحب به الخليفة وقربه إليه وعهد إليه بتأليف عدة إعمال تتعلق بتاريخ وجغرافية المغرب الإسلامي، وقد أشار ابن حزم الأندلسي إلى هذه المؤلفات وهي:
1-كتاب مسالك إفريقيه وممالكها. 2-كتب كثيرة في أخبار ملوكها وحروبهم والقائمين عليهم. 3-كتب أخرى في أخبار تيهرت ووهران وتنس وسجلماسة ونكور والبصرة (بصرة المغرب) وغيرها من مدن بلاد المغرب.

وقد فقدت هذه الكتب لكن بقيت نصوص من مؤلفاته ضمن مؤلفات أخرى فعلى سبيل المثال، نجد أن أبا عبيد البكري قد ضمن كتابه المسالك والممالك نصوصا كثيرة من كتاب الوراق (مسالك افريقية وممالكها) وأشار إلى الوراق صراحة في كثير من ثنايا كتابه، وقد أشار ابن عذاري المراكشي (كان حيا سنة 712هـ/1312م) إلى بعض النصوص التي ذكرها الوراق.

وبرز أيضا في القرن الرابع الهجري عالم آخر ألف في تاريخ الأندلس وهو أبو بكر محمد عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية (حفيد الأميرة سارة أرملة الحاكم القوطي) المتوفى سنة 367هـ/ 977م ولد بقرطبة ودرس في اشبيلية وكان عالما بالنحو واللغة متقدما فيهما على أهل عصره، حافظا لأخبار الأندلس، ملما برواية سير أمرائها وأحوال فقهائها وشعرائها، وكان يملي ذلك عن ظهر قلب.

وأهم ما تبقى من مؤلفاته هو كتاب (تاريخ افتتاح الأندلس) الذي يتناول الكلام فيه عن تاريخ الأندلس من الفتح إلى نهاية إمارة الأمير عبد الله بن محمد سنة 300هـ/912م، وإن كان الكتاب قد كتب من قبل طلاب ابن القوطية إذ كان

الأخير يروي الإخبار والطلبة يكتبون ولذلك جاءت الإخبار بصيغة : أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز قال ...) ومع ذلك فيمكن اعتماد هذا الكتاب على انه من المحاولات الرائدة الأولى في التدوين التاريخي في الأندلس، لما تميز به من خصائص تتعلق بطبيعة وتكوين المجتمع الأندلسي، وانتساب المؤلف إلى هذا المجتمع، ومحاولته رسم صورة واقعية للأحداث التي مرت على بلده منذ الفتح وإلى نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.

ومن الأندلسيين الذين ألفوا في تاريخ بلادهم، قبل انتهاء النصف الأول للقرن الرابع الهجري، في ظل الظروف المتقدمة، التي وصفناها بإيجاز، محمد ابن عبد الرؤوف (ت 343هـ/955م) (ألف في الأخبار والتواريخ وطبقات الشعراء بالأندلس...).

ومن أهل قرطبة عريب بن سعد القرطبي (ت 370هـ/980م) كان أديبا شاعرا، لغويا، مؤرخا، طبيبا، ينتمي بالأصل إلى بيت من بيوت الموالي يعرفون ببني التركي، نال تعليما جيدا، ودرس على شيوخ عصره فبرز في قرطبة كأحد العلماء الموسوعيين، ووصفه المراكشي "أديبا شاعراً مطبوعاً تاريخياً تام المعرفة بالإخبار ذا حظ موفور في النحو واللغة، طبيبا ماهرا شديد العناية بكتب الأطباء القدماء والمحدثين". وعمل في عدة وظائف إدارية مهمة في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله (300– 350هـ/ 912– 961م) منها تولي كورة اشونة التي تقلدها سنة 942/331م وكذلك خزانة السلاح وعمل كاتبا في ديوان الخليفة الحكم الثاني المستنصر بالله (350–366 هـ/ 961– 977م)، وكانت له علاقات واسعة وصلات قوية بكبار رجالات الدولة في عصره أمثال الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي وكذلك كانت منزلته عالية عند الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر أصبح الحاكم الفعلي للبلاد بعد وفاة الخليفة الحكم الثاني، وتوفي عريب في أوائل حكم الحاجب المنصور سنة 370هـ/980م، وكتب عريب مؤلفات في اختصاصات مختلفة ففي مجال الطب كتب مؤلفا بعنوان: "كتاب خلق الجنين وتدبير الحبلى والمولود" وله كتاب في الأدوية بعنوان "عيون الأدوية"، وله كتاب في الأنواء وهو تقويم فلكي مناخي زراعي وضعه سنة 349هـ/961م.

أما بالنسبة إلى التاريخ فقد ألف مختصرا لتاريخ الطبري (ت 310هـ/922م) المعروف بـ"تاريخ الرسل والملوك" ثم وضع له تذييلا وهو يبدأ من سنة 291–320هـ وقد نشره المستشرق دي غويه في ليدن سنة 1797م بعنوان صلة تاريخ الطبري. وأعاد محمد أبو الفضل إبراهيم تحقيقه ونشره في دار المعارف بالقاهرة ضمن ذيول تاريخ الطبري سنة 1977، أما رواية عريب ابن سعد الأخرى عن تاريخ المغرب والأندلس فقد فقدت، ولكن ابن عذاري قد اعتمد عليها كثيرا في كتابه البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب.

وكما ذكرنا آنفا أن المحاولات الجادة الأولى لوضع أساس علم التاريخ في الأندلس كانت على يد أحمد بن محمد بن موسى الرازي لكن بوفاته لم تنطفئ شعلة التأليف عند هذه الأسرة التي أوقدها عميدهم محمد بن موسى الرازي فلقد أنجب أحمد ابنا تولى هو الآخر دراسة تاريخ الأندلس إلى عصره، فأكمل ما بدأ به والده، ذلك هو عيسى بن أحمد بن محمد ابن موسى الرازي الكناني، فقد سار على خطى والده أحمد في تدوين تاريخ بلده، فسمى كتابه الأول (بتاريخ الأندلس) الذي ألفه للخليفة الحكم المستنصر بالله، المعروف بحبه وتشجيعه للعلم والمعرفة، ولم يكتف بتكملة كتاب والده الموسوم بأخبار ملوك الأندلس، بل ابتدأ مؤلفه الجديد منذ الأحداث الأولى التي مرت على الوجود العربي الإسلامي في الأندلس فقد نقل عنه المقري (ت 1041هـ/1631م) فصار يعود إلى عصر الولاة ويشير بوضوح إلى كيفية نشوء المقاومة الإسبانية بقيادة بلاي Pelaye في منطقة جليقة Galicia، كذلك أشار ابن الآبار (ت 658هـ/1260م) إلى بعض رواياته عن الأمير عبد الرحمن الداخل، وقد ضمن عيسى الرازي كتابه معلومات أساسية مفيدة عن الجذور التاريخية للأحداث التي تناولها، فنجده حين يتحدث عن استعادة الخليفة الناصر لدين الله (300 – 350هـ/912 – 961م) لطاعة مدينة طليطلة، يعرف بتاريخها منذ أقدم العصور، ويسهب في ذكر الأحداث التي مرت عليها خلال العصر الروماني، ومواقفها إزاء الحكام والأباطرة، ولا سيما غزوها من قبل يوليوس قيصر، الذي يسميه ((يوليوش مالك روما الأكبر)).

وقبل أن ننهي الحديث عن أهم مؤرخي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي لا بد من الإشارة إلى مؤرخ نقل أدب التراجم نقلة نوعية أصبحت معيارا للتأليف في التراجم بالأندلس والمغرب بعده ويتعلق الأمر بابن الفرضي، هو أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، أبو الوليد، المعروف بابن الفرضي (ت 403هـ/ 1013م): مؤرخ حافظ أديب. ولد بقرطبة، وتولى قضاء بلنسية في دولة محمد المهدي المرواني. ورحل إلى المشرق سنة 382هـ، فحج وعاد، فاستقر بقرطبة إلى أن قتله البربر يوم فتحها، شهيدا في داره.

من مصنفاته "تاريخ علماء الأندلس"، و"المؤتلف والمختلف" في الحديث، و"لمتشابه" في أسماء رواة الحديث وكناهم، و"أخبار شعراء الأندلس"

ويعد كتاب تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس من كتب الرجال التي تحدثت عن علماء بلد معين في فترة محددة، حيث عُني هذا الكتاب بنخبة من علماء المجتمع الإسلامي بالأندلس منذ أن دخلها الإسلام وحتى نهاية القرن الرابع الهجري، وبالرغم من كون هذا الكتاب يمثل المحاولة الأولى لهذا النمط من الكتابة التاريخية بالأندلس إلا أنه جاء ضافياً ومهماً في موضوعه، ولهذا عد الدكتور حسين مؤنس ابن الفرضي شيخ أصحاب معاجم التراجم الأندلسية ومقرر أصول هذا الفن الذي اتصل في الأندلس والمغرب بعد ذلك قروناً طويلة، كما عده المستشرق الأسباني آنخل حنثالث بالنثيا بأنه أقدم معجم رجال بين أيدينا، وقد لقي هذا الكتاب قبولاً عند عدد من مؤرخي وكتاب الأندلس كالحميدي، والضبي، وغيرهم ، وغير الأندلسيين كالذهبي، ولعل هذا التميز الذي حظي به هذا الكتاب وتلك المنزلة العالية التي تبوأها من الأسباب القوية التي جعلت شيخ مؤرخي الأندلس أبا مروان بن حيان يقول عن مؤلفه ابن الفرضي: (لم ير مثله بقرطبة في سعة الرواية، وحفظ الحديث، ومعرفة الرجال ...).

المحاضرة

موضوعات الكتابة التاريخية في العهد المرابطي

شهدت بلاد المغرب والأندلس نهضة علمية وفكرية خلال العهد المرابطي، وذلك نتيجة التراكم المعرفي الناتج عن الثقافة الموسوعية لمؤرخي العصر، وتعاظم الرحلة في طلب العلم، الأمر الذي أدى إلى تعدد موضوعات الكتابة التاريخية.

ويمكننا ذكر أهم الموضوعات التاريخية التي طرقها مؤرخو هذا العصر، نبدأها **بالتاريخ العام أو العالمي** فقد ألف أبو جعفر أحمد بن عبد الصمد بن أبو عبيدة محمد بن أحمد بن عبد الحق الخزرجي (ت 511هـ/1017م)، الذي عاصر فترة ملوك الطوائف وعصر المرابطين كتابا كبيرا في التاريخ، بدأه منذ بدء الخليفة إلى أن انتهى بذكر أخبار الأندلس حتى عصره.

أما بالنسبة **للتاريخ الإقليمي والمحلي وتاريخ الدول**، فقد ألف ابن الصيرفي (ت 570هـ/ 1174م) الذي كان واحداً من كبار رجالات الدولة المرابطية وكاتباً لأمرائها، كتابا عنوانه: "الأنوار الجليلة في أخبار الدولة المرابطية"، وهذا الكتاب مفقود غير أنه بقيت منه شذرات تناقلتها المؤلفات من بعده، حيث يضعه ابن عذارى (ت بعد 712هـ/ 1312م) ضمن مصادر كتابه "البيان المغرب"، كما استمد منه ابن الخطيب (ت 776هـ/ 1371م) كثيراً من أخبار العصر المرابطي.

وألف عبد الله بن إبراهيم بن وزمر الحجاري الصنهاجي الغرناطي (ت 520هـ/ 1126م) كتاب "مغناطيس الأفكار فيما تحتوي عليه مدينة الفرج من النظم والنثر والأخبار"، وهذا يشير إلى أن الكتاب ألف كما يتوقع قبل نهاية حكم الأمير المأمون بن ذي النون صاحب مدينة طليلطة في سنة 478هـ/ 1086م في طلطيلة، كما ألف "المسهب في غرائب المغرب" وألف رزين بن معاوية بن عمار العبدري الأندلسي السرقسطي (ت 524هـ/ 1130م) كتابا اسمه "أخبار مكة والمدينة وفضلهما"

وألف أبو حامد محمد بن عبد الرحمن الأندلسي (ت 558هـ/ 1163م) كتابا اسمه "المجموع المغرب في بعض عجائب المغرب". وألف أبو عامر محمد بن عامر البلوي الطرطوشي السالمي (ت 559هـ/ 1164م) "درر القلائد وغرر الفوائد في أخبار الأندلس وأمرائها وطبقات علمائها وشعرائها" وتوجد منه نقول عن ابن الأبار وكذلك عن ابن عبد الملك المراكشي.

وألف أبو عمرو حمزة بن علي الغرناطي (ت 573هـ/ 1178م) كتابا في "تاريخ الفتنة" التي إنقرضت بها دولة المرابطين. وألف ابن بشكوال كتابا في تاريخ الأندلس أسماه "تاريخ في أحوال الأندلس"، وللقاضي عياض أيضاً كتاب في تاريخ المرابطين أسماه "تاريخ المرابطين". أما التأريخ للمدن خلال هذا القرن فقد ألف القاضي عياض اليحصبي كتابه "الفنون الستة في أخبار سبتة".

طرق مؤرخو هذا القرن ميدان الكتابة التاريخية في السير، فكتبوا في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة، وكتبوا عن أصحاب المذاهب الإسلامية وخصوصا مذهب مالك، المنتشر في الأندلس، وكان أول كتاب في السيرة النبوية لأبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي (ت 520هـ/ 1126م) هو "اختصار أخلاق الرسول الله صلى الله عليه وسلم" اختصر به كتاب أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي عبد الله جعفر الشيخ بن حيان (ت 369هـ/ 980م).

وألف القاضي عياض عدة مؤلفات تاريخية في **السير** خاصة بالرسول صلى الله عليه وسلم ومن أهمها "اختصار شرف المصطفى" وهو اختصار لكتاب شرف المصطفى أو شرف النبوة لأبي سعد عبد الملك بن محمد النيسابوري (ت 406 هـ/1015م) و"مشارق الأنوار على مبهم الآثار" وهو كتاب مفيد في تفسير غريب الحديث المختص بالصحاح الثلاثة وهي: الموطأ، والبخاري، ومسلم؛ ولعياض أيضا "الشفاء، بتعريف حقوق المصطفى".

تعد كتب **الأنساب** أيضاً من مؤلفات مؤرخي القرن السادس الهجري بالاندلس ومن أهمها "معراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب" في نسب الرسول صلى الله عليه وسلم لابن أبي الخصال (ت 539 هـ/ 1144م).

وهناك كتاب "اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار" للرشاطي (ت 542هـ/ 1147م)" ، وكتاب في الأنساب أيضا لابن عطية المحاربي (ت 542هـ/ 1147م) وهو "كتاب في أنساب شيوخ ابن عطية المحاربي".

أما عن الكتابة التاريخية في **التراجم والطبقات**، برز فيها القاضي عياض أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت 544هـ/ 1150م)، الذي يعد أحد أعمدة الحياة الفكرية في الأندلس في تلك المرحلة. ولعل أول ما يُذكر له من مؤلفات في هذا المجال هو كتابه المشهور "ترتيب المدارك وتقريت المسالك لمعرفة أصحاب مالك"، وهو أضخم مؤلف في طبقات المالكية. ويتلوه كتاب آخر لا يختلف في الأهمية عما سبقه وهو كتاب "مشارق الأنوار على صحيح الآثار".

وألّف أيضًا كتاب "السيف المسلول على من سبّ أصحاب الرسول" وكتاب "تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض"، وكتاب "جمهرة ورواة مالك".

وللحجارى (ت 550 هـ/ 1155م) كتابا في التراجم وهو كتاب "**المسهب في فضائل (أو غرائب) المغرب**" وهو في ستة أجزاء، يتناول فيه تراجم رجال المغرب والأندلس.

ومن الكتابات المشهورة في هذا النمط التاريخي " **كتاب الصلة** " لابن بشكوال (ت 578هـ/ 1182م)، الذي ترجم فيه لأنواع عدة من المترجمين، ترجم فيه لرواة الحديث الشريف وترجم فيه للفقهاء والقضاة والأدباء والشعراء، وهو مثل كتاب الجذوة للحميدي (ت 488هـ/ 1095م)، وكتاب الصلة ذيل أكمل به ابن بشكوال تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (ت 403هـ/ 1013م).

ومن مؤلفي القرن الهجري السادس الذي نختتم به هذا القرن من المؤلفين في الطبقات والتراجم هو أحمد بن عبد الملك بن عميرة الضبي (ت 599هـ/ 1203م) صاحب كتاب "بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس" الذي يعد مكملاً لكتاب الجذوة للحميدي، غير أنّه في حقيقة الأمر هو نقل لكتاب الجذوة إلا في طائفة من الترجمات القليلة التي أضافها الضبي.

من الموضوعات المستحدثة أيضاً **تاريخ الأدب؛** الذي بعني بالمؤلفات الأدبية وبالترجمة للإعلام الذين صنفوها، ومن المؤرخين الذين اهتموا بتاريخ الأدب، الفتح بن خاقان الاشبيلي (ت 529هـ/ 1134م)، وابن بسام الشنتريني (ت 542هـ/ 1148م).

ترجع شهرة الفتح بن خاقان إلى كتابيه "مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس" و"قلائد العقبان في محاسن الأعيان"، وكتابه مطمح الأنفس قصره على أعيان الأندلس وذوي المكانة الهامة، كالرؤساء والوزراء والأدباء والفقهاء، واقتصرت هذه الترجمة على المعاصرين للفتح بن خاقان من أعيان القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. أما القلائد وهو تكرار للمطمح في بعض أجزائه ترجم فيه للأمراء والوزراء والكتاب والشعراء والفقهاء مع نماذج من إبداعاتهم النثرية والشعرية.

كما يعد ابن بسام الشنتريني (ت 542هـ/ 1148م) كذلك من أهم مؤرخي الأدب خلال القرن الخامس وأوائل القرن السادس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وهو صاحب كتاب "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" الذي صنفه في تراجم لأدباء الأندلس وأخبارهم خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، خلال عصر ملوك الطوائف وجزء من أعلام وأدباء القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. وكان هدفه من تأليف هذا الكتاب هو إظهار مدى تفوق أهل الأندلس في ميدان العلوم والآداب.

كما نجد ابن أبي الخصال (ت 539هـ/ 1144م) الذي ألف كتابا في تاريخ الأدب تحت عنوان "سراج الأدب" صنفه على طريقة كتاب النوادر لأبي علي القالي (ت 356هـ/ 942م)،

فقد كانت له شهره واسعة في البلاغة والشعر، وهو كما قال عبد الواحد المراكشي: "آخر الكتاب واحد من انتهى إليه علم الآداب"، والكتاب فقد ولم يبق لنا من آثاره التي تعرفنا به إلا بعض ما ألف شعراً ونثراً في حياة الرسول والصحابة وخاصة قصيدته في نسب الرسول (صلى الله عليه وسلم).

اهتم مؤرخو القرن السادس بالكتابة أيضا في "**أدب السياسة**"، وهو نوع من الكتابة التاريخية عرفته الأندلس في عصر ملوك الطوائف والسبب في ذلك يرجع إلى ما كان عليه أمراء الطوائف من فساد وظلم وجور لرعيتهم، وهو الأمر نفسه ينطبق على أمراء أواخر العصر المرابطي، إلى جانب الفقهاء الذين كانوا أصحاب نفوذ كبير في دولة المرابطين – ولم يوجهوا الرعية التوجيه السليم، ولم يظهروا أمام الناس بالمظهر اللائق بوصفهم قادة روحيين بل انصرفوا إلى كتب الفروع والحديث عنها وتركوا الأمور الجوهرية. جعل بعض المؤرخين يتجهون للكتابة في "آداب السياسة"، ليبينوا ما يجب أن يكون عليه الحكام من سياسات العدل والتي يجب أن يتبعها الأمراء، كما تحدثوا أيضاً عن مشكلة الإمامة وفي وعظ الملوك، ومن هذه الكتب، كتاب "سراج الملوك" للطرطوشي (ت 520هـ/ 1126م) ، الذي نشأ بالأندلس وأخذ عن علمائها، ثم انتقل إلى المشرق وتجول في أنحائه طالباً للعلم، ثم أقام بدمشق وبعد ذلك رحل إلى الإسكندرية وبها دفن، وقد اشتهر بمحاربة البدع وألف في ذلك.

ألف الطرطوشي كتاب "سراج الملوك" في مصر، وأهداه إلى وزيرها المأمون البطائحي الذي تولى الوزارة في مصر سنة (517هـ/ 1123م)" وهو في الآداب السلطانية، وتضمن الكتاب كذلك واجبات الملوك والفضائل والخلال التي ينبغي أن يتحلوا بها في السلم والحرب.

من كتب آداب السياسة التي ألفت خلال العصر المرابطي أيضاً كتاب "عيون الإمامة ونواظر السياسة" لأبي طالب المرواني (ت 516هـ/ 1122م)".

والخلاصة أن الكتابة التاريخية ازدهرت في هذه الفترة بفضل ثلة من المؤرخين ذوي ثقافة موسوعية جمعوا بين العلوم العقلية والنقلية لعصرهم فكان منهم المحدث والفقيه والأديب والطبيب، ونجحوا في تطوير الموضوعات التقليدية للكتابة التاريخية واستخدموا موضوعات جديدة.

المحاضرة

كتب الفقه والنوازل من مصادر كتابة تاريخ الغرب الإسلامي

تعريف الفقه والنوازل:

الفقه في اللغة: بمعنى العلم بالشيء والفهم له، ومدار الفقه في لغة العرب على الفهم، يقال: أوتي فلان فقهاً في الدين، أي: فهماً فيه، أما الفقه اصطلاحاً فهو : العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية.

النوازل هي: الواقعات والمسائل المستجدة التي تنزل بالعالم الفقيه؛ فيستخرج لها حكماً شرعياً. ويطلق عليها "النوازل" و"الفتاوى" و"الأجوبة" و"الأحكام" "المسائل"، وكلها مصطلحات تعكس مفاهيم متقاربة.

تزخر كتب النوازل بمادة تاريخية وفقهية غاية في الأهمية، وتعد سجلاً حافلاً لجوانب كثيرة من حياة الأفراد والجماعات، وتعمل على كشف العديد من القضايا الفكرية والاجتماعية والتشريعية؛ فالنوازل تعني ما يعرض لأفراد المجتمع من قضايا ومنازعات قضائية تطرح على القضاة، ولهذا الأمر قيمة عظيمة بلا شك لا من الناحية الدينية فقط؛ بل لأنها كذلك تلقي الضوء على كثير من دقائق الحياة الاجتماعية والاقتصادية، كما تطلعنا على مدى الأصالة في التشريع المغربي والأندلسي، ومدى آثار البيئات الإقليمية في هذا التشريع كما تعمل على التعرف على النظم القضائية، ودور المفتين والمشاوَرِين في إرشاد المتقاضين ومناصرة المظلومين وتنوير رأي الحاكمين، والتعرف على منشآت المجتمع الحبسية، وما قدمت من دعم دائم للمؤسسات الدينية والتعليمية والجهادية.

ومن أبرز مميزات كتب النوازل؛ الواقعية والتجدد وتنوع التأليف، ومن ثم تكون كتب النوازل منجماً غنياً بمعلومات موازية يستفيد منها المؤرخ والقانوني والاجتماعي.

وتقول المستعربة الفرنسية **رايل آريه:** "تشكل هذه الفتاوى أهمية عظمى ليس فقط في مجال الفقه الإسلامي في الأندلس فحسب، إنما أيضا في غزارة المعلومات التي تقدمها لنا حول الحياة الاقتصادية والاجتماعية فيه، هذه المعلومات تكاد تخلو منها تقريبا كتب المؤرخين".

ويؤلف التراث الفقهي قسماً كبيراً في التراث الثقافي بالغرب الإسلامي، ويشغل حيزا مهماً في المكتبة المغربية، وإن كثرة هذا التراث، وتداوله الشائع، وانتشاره الواسع، لدليل على

عناية الأندلسيين والمغاربة بالفقه، واهتمامهم الخاص به، والفقه – سواء في العبادات أو المعاملات – كان شديد الارتباط بوقائع أهل المغرب والأندلس الجارية، ومشكلاتهم الناشئة، وقضاياهم الطارئة، وباختصار فقد كان الفقه مدار حياتهم اليومية.

والنازلة الفقهية تعكس صورة المجتمع الإسلامي في خصوصياته وفي مشاكله وتعقيداته. كما أن غنى مادتها يمكن من كشف ما عجزت الحوليات التاريخية عن كشفه. فالفقه الإسلامي ليس مجرد نظريات ميتة في الكتب فقط بل هو فقه للحياة أو كما يقول ابن سهل: "**التجربة أصل كل فن**".

والمعروف أنه منذ أن وصل المذهب المالكي إلى الأندلس وأهلها على رأي هذا المذهب، وما انقطعت صلتهم به، والفقه المالكي فقه علمي – عملي، يعتد بالواقع، ويأخذ بأعراف الناس وعاداتهم، ويستند إلى المصالح المرسلة التي هي من أجل قواعده، وهكذا انطلق الفقه الأندلسي يبدع في غير ما مجال من مجالات المعرفة وأطلق لنفسه حرية الفكر والبحث وتفجرت فيه ينابيع النبوغ، فأبدع حضارة قل نظيرها بين الأمم التي عاصرته إذ كان أفقا وأكثر قبولا للتمدن، لقد تقصى فقهاء هذا القطر أحوال زمنهم، وأوضاع مجتمعهم؛ فاستنبطوا لها من التقنيات الملائمة لظروفها وأحوالها ومستواها، ما يكشف عن دقائق الأحداث والمواقف والأوضاع، ليس هذا فحسب؛ بل إنهم فيما تقصوه من جزيئات، جاوزوا حدود زمانهم في رؤية ثاقبة نحو المستقبل.

وسوف نحاول في هذا المبحث، أن نقف على مدى أهمية كتب النوازل كمصدر هام يثري الدراسات التاريخية والقانونية، وكيف أن دراسة تلك النوازل تكشف لنا حُجُب كثير مما نجهله في فترة العصور الوسطى الإسلامية بصفة عامة والمغرب والأندلس بصفة خاصة.

نوازل ابن سهل (ت 486هـ/1093م):

يعتبر كتاب "الأحكام الكبرى" لابن سهل من أجّل الكتب التي تنتمي إلى هذا اللون من المؤلفات، ويقدم لنا بشكل **عملي تطبيقي** ما كان يجري في المجتمع من منازعات تمثل حياة الناس خير تمثيل. وتأتي أهمية نوازله في أنه كان شاهد عيان على تلك القضايا الاجتماعية والقانونية والتاريخية كما تضمنت وثائق غاية في الأهمية عن أحكام القضاء الجنائي في الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين، وتلقي الضوء على التاريخ الاجتماعي

للأندلس في تلك الحقبة التاريخية الحساسة، وعلى الإجراءات وأسلوب البحث القانوني والتحقيق والتدقيق الذي كان يتولاه القاضي قبل الفصل في القضايا المعروضة عليه.
وتضمنت نوازله أيضاً تحقيق جرائم مثل: القتل العمد ببواعثه المختلفة والاغتصاب والضرب والجرح المفضي إلى الموت، أو القتل الخطأ في عرف القوانين الوضعية الراهنة، وجرائم السب والقذف والتهديد، وجرائم أخرى مثل تعكير الأمن والعبث به وتهديد سلامة الأرواح، والاعتداء على حرمة الملكية الخاصة. وقد استفاد من هذه النوازل المستشرق ليفي بروفنسال في تأليف كتابه "اسبانيا الإسلامية" حيث رجع إليها في كثير من المواضع التي كتبت عن نظم الحكم في الأندلس، وعن حياة المجتمع الأندلسي وأوضاعه الاقتصادية والاجتماعية.

كما وجدنا وثائق تتعلق بقضايا عدة ومنها قضايا خاصة بالسوق ورقابة **المحتسب** على أعمال الصناع والتجار، ومنها: أن بعض الخرازين تألبوا على المحتسب وأرادوا إخراجه من السوق ومنعه من إعمال رقابته عليهم، وادعوا عليه بإلحاق الأذى بهم والتسلط عليهم، لأنه كشف غشهم ونبههم إلى سوء عملهم وردهم أحد المفتين الكبار في قرطبة وهو محمد بن عتاب، وأكد على أنه لا يباح لهم ذلك، والأولى بالإخراج المعترض لا المحتسب.

ونجد وثيقة أخرى توضح استيلاء ابن السقاء – مدبر الحكم الجهوري – على أموال المسلمين فأصبح ذا ثروة طائلة وابتنى القصور والضياع وكانت وقائع القضية والحكم فيها محل تشاور بين صاحب أحكام قضاء الجماعة بقرطبة سراج بن عبد الله، وبين المشاوَرِين محمد بن عتاب، أحمد بن محمد وموسى بن هذيل من فقهاء قرطبة، وتؤكد الوثيقة على أن ابن السقاء قبل تولي المنصب لم يكن يملك من حطام الدنيا شيئاً، وعندما توفى عام 455هـ خلف تركة واسعة وتبين أنها من أموال لمسلمين وتم التوصل إلى أنه متى ثبت أن جميع ما تركه هو للمسلمين إلا ما صح ملكيته له.

كما أفادت نوازله في قضايا كثيرة منها قضايا الجواري والإماء، ورفع بيع النصارى والمعاملات اليومية بين المسلمين واليهود في الأندلس في بداية عصر المرابطين.

نوازل ابن رشد الجد (ت 520هـ / 1126م):

كان ابن رشد رئيس الإفتاء وزعيما لفقهاء بقرطبة، ونوازله ذات أهمية كبرى، ومكانتها العلمية أشار إليها علماء الفقه وأصحاب النوازل القدماء والمحدثين ففيها نرى الأسئلة ترد عليه من مختلف جهات الأندلس والمغرب، من إشبيلية وجيان ومالقة ولوشة وبياسة وغرناطة

والأشبونة وبلنسية وبطليوس وشلب والمرية وسبتة وفاس ومراكش، وقد كان يستفتى من أمير المسلمين فما دونه، ومن القضاة والفقهاء الذين نجدهم يستفتونه، عدا القاضي عياض أبو المطرف الشعبي المالقي صاحب النوازل، وأبو مروان ابن مسرة، وأبو القاسم ابن الإمام الأشبيلي – وهذا من كبار المفتين في ذلك العصر – وأبو بحر سفيان بن خلف الأسدي الذي استفتاه في نازلة أخيه المقتول بمربيطر، وموسى بن حماد قاضي الجماعة بمراكش وغيرهم ولما توفي ابن رشد خلفه ابن الحاج الشهيد الذي اعتمد على فتاويه في القضايا بالكبرى التي تخص الأندلس.

وكانت فتاويه إجابات عن أسئلة في أحداث تتصل بحياة الناس، وكانت تلك الأمثلة مدعاة إلى إثارة علم ابن رشد، واستجلاء رأيه، والتعرف على مذهبه واختياره. والكتاب الذي عاش صاحبه فترة من الزمان في عهدي الطوائف والمرابطين يعطينا بما فيه من نصوص صورة عن الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في الأندلس والمغرب في هذين العهدين، ومن ثم فإنه يعد وثيقة تاريخية مفيدة يلزم أن ينكب عليها المؤرخون.

وفتاويه تثير مسائل في شتى شؤون الحياة. وليست قيمتها الكبرى في الجوابات، إذ أن مثلها قد يعثر به الباحث في كتب ابن رشد الأخرى، وإنما قيمتها في الأسئلة نفسها وفي مقدار ما تصوره من حياة الواقع الأندلسي لشمولها أولا، ولأنها في معظم الأحيان مقترنة بأحداث واقعية، وقل منها ما هو نظري محض أو تعليمي في غايته. ولهذا السبب كانت النوازل مصدرا لدراسة التاريخ، وخامة لدراسة النواحي الاجتماعية في عصر المرابطين. وقدم نماذج متنوعة تتصل بحياة الناس وشؤونهم اليومية وتعرض القضايا التي كانت تهمهم في معاملاتهم.

وترجع أهمية نوازله إلى أن الإجابات التي ساقها تمثل الحلول العملية لنظر الدين في تلك الحالات الحادثة، والأحكام التعليقية في تلك القضايا الناجعة، .فالمناسبة يناسبها الجواب المطلوب والحل المنشود. وفرق بين حكم عملي راعى الظرف وأحاط بمعطيات القضية، وحكم نظري يساق في كتاب فقهي، وينساق مع غيره من أحكام في وضع تقليدي يضمها ديوان.

وهذه الإجابات تعطي للفقه حركة من طراز لا نجده في التآلف التي تتشابه في العرف والتنظيم أو تختلف، ولكنها في النهاية تتلاقى في بسط الأحكام وطرق المعلومات، وآية ذلك

ما نلمسه في هذه الأجوبة من ربط المسائل بأصولها، ومقارنة بين الروايات وتصويبها وفقه وتوجيهه، وتشريع وتعليله. فهي من هذه الناحية السياسية والاجتماعية تكشف عن ظواهر في البيئة الأندلسية والمغربية المتأثرتين بما يجري فيهما من أحداث، وتصور حالات نجعت في الحياة خالفت المعتاد وشوشت العباد، وحركت الجدل، وأظهرت بوادر البعد عن رأي جمهور العلماء، وعامة الفقهاء، وهي تسجل تجاوزات من رجال السلطة وأعوان الحكومة، وأخطاء من القضاة وتثبت بعض الانحرافات في المعاملات كالغش والتدليس والتحايل، وتعدي الناس بعضهم على بعض، وتبرز استغلال بعض الوجوه وظائفهم، أو وظائف أقاربهم ليحتموا بهم من أجل الإثراء، وتعطيل الحقوق والانتصاف منهم. وهي تتحدث عن ظهور المنتزين على السلطة الثائرين الغاصبين لأموال الرعية، وعن ظهور البدع والمخالفات، وعن العلاقات العائلية والزوجية في حالات الهدوء والغضب، وحالات الحياة والموت. وهي تتكلم عن العلاقات بين المسلمين وأعدائهم في السلم والحرب، والتعامل التجاري بينهم في أوقات الهدنة وحالات نقضها، وعن افتداء الأسرى وعن أفضلية الجهاد أو الحج لأهل الأندلس والمغرب في تلك العهود.

ومن الناحية الاقتصادية تظهر الحياة المعيشية في جوانب الغلاء والرخص وتبدي طريقة انتقال الممتلكات والمكتسبات والمنافع وما ينشأ فيها من صحة وفساد وجواز وبطلان، وحل وحرمة، وموافقة للشرع ومخالفة، وتكشف عن تغير قيم الدنانير والدراهم في مجال التعامل والتبايع وفي مجال خلاص الديون وإبراء الذمم، وفي مجال الصرف ومبادلة الذهب بالفضة ، وعن تغير وزنها.

وهناك أكثر من واقعة في نوازل ابن رشد تشير إلى انتشار وسائل الغش والتدليس، مثل: الغش الذي يفعله أهل إقامة المحاشي في الأسواق، وما يفعله القطانون في هذه المحاشي من غش، وما يفعله أيضا أهل مهنة الرفو والخياطين.

وتعرض ابن رشد الجد لصور من علاقات الاستغلال نتيجة التسلط وانحلال مظاهر الملكية الجماعية التي حلت محلها الملكية الفردية؛ فقد أورد في إحدى نوازله مسألة الذي يريد أن يحول ماءه الذي يمر في أرض رجل إلى موضع آخر منه هو أقرب إليه لأنه يريد أن يتحكم عليه في أرضه.

وفي نوازله أيضا يتضح أن الهدايا شكلت موردا آخر من ثراء الأغنياء، فقد جاء في إحدى النوازل أن قوما من قبائل الصحراء أهدوا بعض الحكام والشيوخ إبلا وأموالا.
وتعرضت نوازله لمشاكل تخص المعاملات بين الباعة والمشترين في أسواق مراكش وبعض التجاوزات مثل مشكلة الغش في صرف الدينار إلى دراهم، كما سجل مشاكل التجارة بين قشتالة والأندلس.

وتكشف نوازله أيضاً عن أشكال من علاقات الإنتاج مثل المرابعة والمثالثة. فقد جاء في إحدى النوازل عن »رجل يحرث الأرض بالربع أو الثلث من غير أن يجعل رب الأرض نصيباً من الزريعة.

ويفهم من هذا النص أن مالك الأرض كان يدفع في حالة المرابعة والمثالثة الأرض والماشية والآلة للمزارع، ويتكلف هذا الأخير بنفقات الزريعة والجهد العضلي فيكون له من المحصول الربع أو الثلث، بينما يكون لصاحب الأرض ثلاثة أرباع أو الثلثين حسبما ينص عليه العقد. لكن يجب أن نضع في الاعتبار أن هذه الحالة قد تكون استثنائية، وهذا ما يفسر ورودها بصفتها نازلة تقتضي حلاً. وفي كل الأحوال، كان ميزان القوى في صالح رب الأرض.

نوازل القاضي عياض (ت 544هـ)

يمثل كتاب "**مذاهب الحكام في نوازل الأحكام**" للقاضي عياض نموذجاً للمؤلفات الفقهية التي تهتم بوقائع الناس الجارية ومشكلاتهم الناشئة، وأقضيتهم الطارئة، وأهمية الكتاب تتجلى في كونه مرجعا فقهياً يحتوي نوازل تكشف عن وقائع الحياة اليومية بالمغرب والأندلس إبَّان عهد المرابطين. وهي من نتاج فترة توليه خطة القضاء، وترتيبها، والتذييل عليها، وتتميز هذه النوازل بأنها تشتمل على أجوبة تمثل الفتوى في الغرب الإسلامي على عهد عياض، ونجد فيها أسماء عدد من المفتين المعروفين في الجناح الغربي من العالم الإسلامي. فمن أهل الأندلس ابن رشد، وابن الحاج، وجل الفتاوى الموجودة في هذه النوازل هي لهذين الفقيهين القرطبيين الكبيرين، وذلك أن القاضي عياضاً – على جلالة قدره– كان يرجع أثناء توليه القضاء إلى شيخيه المذكورين ويكاتبهما فيما يعرض عليه من أقضية تكون محل اختلاف بين الفقهاء المحليين مستنجداً برأيهما ومهتدياً بهديهما، وكانت فتاويه ما تأتي مؤكدة لأحكامه.

ونوازل عياض لها قيمتين: **قيمة فقهية**، عرفها الفقهاء والنوازليون الأقدمون الذين نقلوا عنها واستفادوا منها، ومن هؤلاء الونشريسي الذي أدرج كثيرا من فقراتها في مجموعه الكبير "المعيار"، **والقيمة الثانية تاريخية**، كالنوازل التي يرد فيها ذكر بعض المعالم والخطط في هذه المدينة كأسماء بعض الأزقة والأبواب والمساجد والحمامات والمقابر والأسواق والبساتين، وكأسماء بعض الأسر والأعلام المشهورة في سبتة.

نوازل ابن الحاج (ت 529هـ/1134م):

عاصر ابن الحاج الشهيد، المرحلة المرابطية حتى سنة **529 هـ/1134م**، وتميزت فتاواه بالتنوع، فضلا عن معاصرته لكبار العلماء **كابن رشد الجد (ت 520/** 1126م)، وابن عتاب، **والقاضي ابن حمدين**، وقد أورد نصوص عبرت عن مظهر هام من مظاهر التحولات الكبرى، في كيفية تعامل السياسي والفقيه مع ميراث ملوك الطوائف المالي والعقاري، وهي من المسائل الخطيرة أثناء قيام أنظمة سلطانية جديدة تتجدد معها العقود والوثائق والأحكام بحسب ظروف العصر، فقد كان **ابن الحاج** واضحًا مع حق بيت مال المسلمين في أموال الحكام المتغلبين "**أموال الظلمة**"، وقد أدت جرأة **ابن رشد الجد** الذي استفتي في هذا الأمر إلى محنة كبرى، انتصر فيها السياسي الظرفي على الحكم الشرعي، وهذا من خلال تدخل **ابن حمدين قاضي الجماعة بقرطبة** وواحد من أشهر وجوه العصر أيضًا.

ومن بين النصوص النادرة نص هام يتحدث عن قضايا الجواري والإماء والعبيد ومحاكم العصر في حواضر المرابطين، حيث أظهر **ابن الحاج "حِسَّ الفتوى"** الذي اكتسبه من خلال تعامله مع واقعه المجتمعي كما أفاد **ابن الحاج** من خلال فتاويه الخاصة بالملكية العقارية ووضعية البساتين والمنيات والنزاعات القائمة بين الأقارب ومسائل المياه، خاصة في عنصر الفلاحة، وتنهض حصيلة النصوص الكثيرة حجة قائمة على أهمية المصادر الدفينة وكتب النوازل خاصة في إعادة كتابة تاريخ الغرب الإسلامي الديني والثقافي والاقتصادي.

وكان لاكتشاف نوازل **ابن الحاج**، وطبع **نوازل ابن رشد والشعبي المالقي والبُرْزُلي أن** قدمت خدمة معرفية لا مثيل لها.فقد كشفت وثائق **ابن الحاج** زيف ادعاءات المدرسة الاستعمارية حول مسائل القبيلة والتراتب الاجتماعي، كما كشفت الملكيات العقارية والنزاعات في الريف الأندلسي والمغربي أهمية إعادة النظر في نظرية علماء الأنثروبولوجيا من

أساسها، وأدعياء نهضة الأندلس القائمة على الميراث الروماني حول تقنيات السقي وتوزيع المياه في المزارع والبساتين والمنيات.

وفي نوازله نجد نصوصاً حول وسائل غير شرعية ساهمت في تكوين الملكيات الفردية كالبيع بالغبن والمحسوبية الذي ساد خلال المرحلة المضطربة من العصر المرابطي الأخير، وكذلك عمليات الاغتصاب والسطو والاستحواذ بالقوة على بعضها. وفي هذا الصدد وردت نازلة حول زعيم منطقة قروية استحوذ على أرض رجل، فضلا عن نازلة أخرى تكشف عن استغلال مقدم القرية لنفوذه بقصد الحفاظ على أرض حصل عليها بوسيلة غير شرعية.

ونصوصه تكشف بما لا يدع مجالا للشك عن وجود ملكيات غير شرعية في بوادي المغرب والأندلس خلال الحقبة المرابطية وذلك من خلال نازلة حول شخص دفعه قوم عن أرضه وشجره وهو نص غني عن كل بيان إذ كما أن غياب بعض الأشخاص عن أراضيهم لسبب من الأسباب قد يؤدي حسبما تبينه النصوص لابن الحاج إلى هضم حقوقهم وفي هذا السياق وردت نازلة حول رجل ترك ابنين وترك لهما قرية يعمرونها فغاب أحدهما غيبة متصلة ثم قدم فوجد الأخ قد توفي وترك ابنا له يعتمر القرية فقال له العم: يا بن أخي هذه القرية حصتي فيها، فقال له الصبي: يا عم ليس فيها شئ.

وبديهي أن تسفر عمليات الاستحواذ عن نشوب نزاعات شملت سكان القرية أحياناً لتطال الأقرباء أنفسهم بل امتدت لتشمل الإخوة داخل العائلة الواحدة وفي هذا المنحى ورد في إحدى نوازله أن رجلا توفي عن قرية كان له فيها ملك وفي غيرها فاستغل ابنه الملكين جميعا مدة ثلاثين عاما بعد وفاة ابيه، ثم قامت عليه اخته تطلب حظا فيها كان لأبيها في القرية التي توفي فيها.

ومن نوازل ابن الحاج يمكن للبحث التاريخي الإفادة منها في رصد شكل من أشكال العلاقة بين المزارع ورب الأرض، وهو ما يعرف بالمغارسة الذي يقتضي أن يستأجر المالك زارعاً يتقن غراسة الأشجار لمدة يتفق عليها الجانبان قد تصل إلى عشر سنوات. وبمقتضى العقد يسلم صاحب الأرض المساحة المغروسة وما يستلزمها من سقي وزريعة، بينما يقدم المزارع عمله فيتعهد الأشجار بالغراسة والسقي، على أن يتقاسم الطرفان المحصول مناصفة. غير أنه في بعض الأحيان كان يترتب على ذلك مشاكل بينهما، خاصة عند حدوث كوارث طبيعية أو حريق يأتي على الأشجار. وهذا ما يتضح من خلال النازلة الآتية: "وسئل ابن

الحاج عمن غارس رجلاً إلى الإطعام مغارسة صحيحة؛ فإذا بلغته، كان بينهما بنصفين يقتسمانه. فلما بلغ ذلك، احترق، فامتنع رب الأرض من إعطائه نصفها".

وفي نوازله أيضاً يتضح لنا وجود علاقة وطيدة بين أصحاب النفوذ والنظام المرابطي الذي منحهم الجاه وحظوا برعايته رغبة أو رهبة منها ما ورد في إحدى نوازله من أن رجلا عاوض فانا بكرم كان بحوزة مقدم القرية، وكان للرجل أخت لها نصيب في الفدان، فلما علمت بذلك أرادت أن تطالب مقدم القرية بحقها، فلم تجرأ عليه حتى زال من خطته. وأبرزت نوازله الكثير من صلاحيات المحتسب وحدود سلطته.

وفي ميدان الصناعة تختزن نوازل ابن الحاج معلومات متنوعة، فبالنسبة للتعدين تحدثنا نازلة عن حاجة الأندلسيين إلى المعادن، وتؤكد "**ضرورتهم إلى التحرف فيها**"، وكان الفقهاء "**يفتون في الحديد الذي يساق من المعادن ويباع في سوق الحدادين ثم يشترى من التجار... لعمل الآلات منه**". وتعرضت نوازله لمشاكل خاصة بسبب سوء جودة بعض المعادن.

وفي ميدان التجارة تعرض لمسائل متعددة تخص العقارات المثمرة والبيوع والاستدانة، ومسائل القروض، والتسعير على أهل الأسواق، وما حدث للعملات من تقلبات، مثل تعرضه "لانقراض عملة ابن جهور في قرطبة ومنافسة سكة ابن عباد لها".

أما من الناحية الاجتماعية فقد رصد لنا ابن الحاج ما وصل إليه عدد كبير من النصارى من مكانة اجتماعية مرموقة فنجده يصف أحد النصارى بأنه "**ذو جاه ومقدرة**"، وكيف أن بعضهم كسب ثروات طائلة بطرق غير شرعية في عصر ملوك الطوائف، وتمكن من الاحتفاظ بها لنفسه عن طريق الاحتماء وراء "**أصحاب النفوذ والجاه**"، وكيف حظوا أيضاً برعاية الدولة خاصة في عهد علي بن يوسف بن تاشفين الذي كان يشملهم بعطفه ورعايته، حتى إن إحدى الوثائق المسيحية أكدت أن تعلقه بالنصارى فاق تعلقه برعيته، وأنه أنعم عليهم بالذهب والفضة وأسكنهم القصور. كما تضمنت نوازله أخبارا عن اليهود وإشارات عن دورهم في الحياة الأندلسية.

وفي نوازل ابن الحاج نراه يبرز التدرج الطبقي في الأندلس حيث قسم الناس إلى ثلاث طبقات: **الأغنياء، ومتوسطو الحال، والمقلون**؛ ما يخص طبقة الحكام والأعيان يشير إلى تفشي ظاهرة استغلال النفوذ والشطط في استعمال السلطة، وغيرها من الآفات الاجتماعية

حتى إن بعضهم كان يرغم الناس على بيع ممتلكاتهم، كما أن بعضهم تمكن من تنمية ثرواته عن طريق التسليف بالفوائد.

وهكذا يتضح لنا أن كتب النوازل اشتملت على أحداث تاريخية وفقهية واقتصادية واجتماعية قد لا تتوافر في كتب التاريخ أحياناً؛ وذلك لأن النوازل تعتبر انعكاساً صادقاً لأحداث المنطقة وظروفها.

المحاضرة

كتب التصوف

إن تاريخ الحركة الصوفية جزء من تاريخنا العام الذي لا يشمل الجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي فحسب، بل يتجاوزه إلى الجانب الثقافي والروحي، على أن التصوف المغربي كان له كبير أثر في توجيه جميع مرافق الحياة وتلوينها، بحيث انتشرت شذراته في مصنفات لم يكن من المنتظر أن تحفل به.

فإنك تجد أخبار الصوفية وحياة الزهاد ووصف الحركات الطرقية التي قامت في المغرب في وقت مبكر، تجدها مبعثرة في كتب التاريخ والتراجم والمناقب والفهارس والرحلات، بل حتى في كتب الفقه، ونظرا لأهميته فقد أفرد البعض للتصوف ورجاله مصنفات خاصة به وبرجاله.

وظل هؤلاء العلماء ينشرون الإشعاع العلمي والثقافي والروحي داخل المغرب الإسلامي وخارجه، وتجلى ذلك في المؤلفات والمصنفات الجمة المفيدة التي ألفوها في هذا اللون من الذوق والعرفان الذي عرفه المسلمون من لدن النشأة الإسلامية متمثلا في الزهد إلى أن أصبح علما مستقلا بذاته يعرف بالتصوف، ومن أهم مصادره في المغرب الإسلامي نجد:

1- المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، لأبي عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي (ما بين سنة (535هـ و540هـ/ 1140-1145م):

إن كتاب "المستفاد" يؤرخ لمتصوفة وأولياء فاس "وما والاها من البلاد" ما بين القرن الرابع إلى نهاية القرن السادس الهجريين، وتمثل هذه الفترة الزمنية فترة حاسمة ما بين انبثاق حركة التصوف والولاية، ومرحلة تنظيمها في زوايا وطوائف في الفترة المرينية اللاحقة.
جاء في مقدمة التحقيق أن كتاب "المستفاد" يعد إحدى الدعامات الأساسية لدراسة التصوف المغربي والوقوف على رجاله، إلى جانب كل من كتاب "التشوف إلى رجال التصوف" لابن الزيات التادلي، و"دعامة اليقين في زعامة المتقين" لأبي العباس أحمد العزفي، و"السر المصون" لطاهر الصدفي، و"المقصد الشريف" لعبد الحق البادسي...

ويعتبر كتاب "المستفاد" أقدم نص مناقبي مغربي وصلنا؛ فهو مصدر من المصادر الدفينة لتاريخ المغرب في العصر الوسيط، ووثيقة تضم بين دفتيها معطيات مهمة عن الجوانب الاجتماعية والثقافية والنفسية للمجتمع المغربي في القرن السادس الهجري خاصة. كما أن مادة الكتاب تسهم في اكتشاف جوانب غامضة من التاريخ الثقافي والاجتماعي للمدن والأرياف المغربية.

وقد وضع المحقق هذه الجوانب وغيرها في القسم المخصص لدراسة النص وتحليل محتوياته، وجاء في خمسة مباحث. أما النص المحقق فيضم مائة وخمس عشرة ترجمة لأولياء ومتصوفة فاس ونواحيها، تعقبها فهارس متنوعة، القصد من ورائها تمكين القارئ من ولوج النص والاستفادة من معطياته. والجدير بالذكر أن أصل الكتاب بقسميه عبارة عن أطروحة تقدم بها المحقق د. محمد الشريف لنيل دكتوراه الدولة في شعبة التاريخ.

2- التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي- لابن الزيات التادلي (628هـ/1231م):

يعد كتاب"التشوف إلى معرفة رجال التصوف لابن الزيات"، الذي ألف عام (617هـ/1220م) من أهم المصادر التراثية المغربية التي استطاعت الكشف عن مناقب كثير من الصلحاء والأولياء في المغرب.

ويعتبر يوسف بن يحيى التادلي أول من أرخ للتصوف ورجاله بالمغرب، وقد ضم هذا المؤلف بين دفتيه أخبار ما يربو عن سبعة وسبعين ومائتين من أبرز رجالات العلم والولاية والكرامات بالمغرب، وأكثرهم من صلحاء الجنوب، وذلك إلى حدود سنة (517هـ/1123م)، كما احتوى هذا المؤلف نصا آخر للتادلي، خصصه لأخبار أبي العباس السبتي.

يشتمل هذا المؤلف إلى جانب تلك التراجم والأخبار، على مادة تاريخية في غاية الأهمية والدقة، تخص الجانب الاجتماعي والفكري والسياسي من تاريخ المغرب، سيما إذا أخذنا بعين الاعتبار الظرفية الزمنية الدقيقة التي ألف فيها هذا المصنف.

وقد مثلت الفترة الزمنية الممتدة ما بين القرن الخامس والقرن السابع للهجرة منعطفا حاسما في التاريخ الثقافي بالمغرب الأقصى، وبعبارة أدق، يمكن القول بأن مادة هذا الكتاب تضعنا أمام رصيد تاريخي مغر يفسر لنا الاهتمام المتزايد بالكتاب من قبل الباحثين في تاريخ المغرب خاصة، لا من زاوية التاريخ الديني فحسب، على حد تعبير "أدولف فور"، بل حتى من منظور التاريخ الكلي، اجتماعيا وثقافيا.

3- دعامة اليقين في زعامة المتقين (مناقب الشيخ أبي يعزى)، لأبي العباس العزفي (633هـ/1236م):

يعد كتاب "دعامة اليقين في زعامة المتقين" لأبي العباس العزفي، ثالث كتاب ضمن سلسلة الكتب المعروفة التي ألفها المغاربة في مناقب صلحاء المغرب بعد كتابي"المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد" للتميمي، وكتاب" التشوف إلى رجال التصوف" لابن الزيات التادلي.

وقد قصد المؤلف من الكتاب "دعامة اليقين- ذكر أخبار الشيخ الشهير أبي يعزى يلنور، فتوسع في ذكر أخباره، وجعلها واسطة عقد كتابه. جاء في مقدمة الكتاب: ".. أشار علي من أمرهما رشيد ممثل، وبسرورهما وفضلهما يضرب المثل، أن أجمع من كرامات الشيخ الصالح بقية الأولياء، السابق في حلبة الأصفياء، أبي يعزى يلنور بن عبد الرحمن بن أبي بكر الأيلاني..ما صح منها بالتواتر والاستفاضة.

وما تقرر لدي عند البحث بالمجاراة فيها والإفاضة وما بلغني منها على حكم الإسناد، وتهذيبه عند النقاد، أو الإرسال عن الأفاضل الثقات، والصالحين ذوي الثقاة. فلبيت دعوتهم المرضية، وحمدت همتهم العلوية، وشكرت الله تعالى حين جعل أمراءنا من صالحينا، ووفقهم للمنافسة في الحقائق والمعارف والفضائل والعوارف حينا فحينا."

ويعد الشيخ أبي يعزى يلنور من الشخصيات التي حظيت باهتمام واسع في كتب المناقب، إذ قلما تجد كتابا من هذه الكتب يخلو من ذكر أخبار هذا الشيخ، بل إن هذا الاهتمام نلاحظه حتى في كتب طبقات المشارقة، كما أفرد أبو العباس أحمد بن أبي القاسم بن محمد الشعبي

الصومعي التادلي في نهاية المائة العاشرة للهجرة مصنفا لذكر أخبار أبي يعزى نقلا عمن تقدموا، وسماه "المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى".

4- المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، لعبد الحق بن إسماعيل البادسي (كان حيا سنة 722هـ-1322م) رلا

إذا كان "ابن الزيات التادلي" في كتابه "التشوف إلى معرفة رجال التصوف" قد اهتم بذكر أخبار رجالات التصوف بالجنوب إلى حدود سنة (517هـ/1123م)، فإن عبد الحق البادسي من بعده قد أرخ لرجالات التصوف في شمال المغرب، في الفترة الممتدة ما بين منتصف القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، إلى أوائل الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي، وذلك في كتابه الموسوم بـ"المقصد الشريف، والمنزع اللطيف، في التعريف بصلحاء الريف."

أشار المؤلف في المقدمة إلى الغرض الذي من أجله ألف هذا الكتاب فقال: "وبعد، فإن علماءنا المتقدمين -رضي الله عنهم- قد اعتمدوا بما ظهر لسالف هذه الأمة من الكرامات، ومهدوا القواعد التي قامت عليها أصول المقامات، وفسروا ما غمض من إشاراتهم، وكشفوا عن خفي عباراتهم، ونقلوا ما صح من كراماتهم، كالإمام الأوحد أبي القاسم القشيري، والعلامة الأعرف أبي طالب المكي، والحافظ المحافظ أبي نعيم الأصبهاني...؛ وكلهم إنما ذكروا أهل المشرق ، غير معرجين على أهل المغرب ثم إن الأديب المحسن المتفنن يوسف بن الزيات، أتى في كتابه الموسوم بـ" التشوف إلى رجال التصوف" بآيات؛ وذكر أن الحامل له على تأليف ذلك الكتاب، ما أهمله من تقدم من المصنفين والكتاب، فذكر فيه جملة من صلحاء المغرب، بأدب بارع وشأن مغرب، وبالغ في ذكر المصامدة، مظهرا لكل شيخ محاسنه ومحامده، ولم يعرج في تلك الأحياء، على ذكر أحد من الأحياء، وجعل المنتهى، فيما إليه انتهى، سنة ست عشرة وستمائة، وغفل فيما آثره من الحسن والإحسان، عن الريف الكائن ما بين مدينتي سبتة وتلمسان؛ ولعل ذلك لبعده من مكانه، وعدم اتصاله بأحد من سكانه، فانطمس عليه معرفة أبنائه، وعز لديه تسوغ أخبائه؛ وقد كان استقر بالريف

المذكور، في سائر الأزمنة كل مشهور، لم يقصر في جده عن الأكابر، المشتهرة ولايتهم في الزمن الغابر، فرأيت تتميم صلته، وتنظيم فصيلته، بذكر من كان ببلاد الريف، من ولي يجب به التعريف، حتى يعلم أنه كان بريفنا المهمل، من أحسن في الطاعة وأجمل (...) وسميت هذا الكتاب، المرجو من الله به حسن المآب بـ "المقصد الشريف، والمنزع اللطيف، في التعريف بصلحاء الريف".

من هذا النص نستشف أن المقصد الأسمى الذي من أجله ألف البادسي هذا الكتاب هو استدراك ما فات ابن الزيات ذكره من رجال وصلحاء الريف..

يضم كتاب "المقصد الشريف" مقدمة وثلاثة أقسام:

1- وقف في المقدمة على الأسباب والبواعث التي من أجلها ألف هذا الكتاب..

2- ثم تحدث في القسم الأول عن المقامات والكرامات، وضمنه أربعة فصول:

1- في الولاية والولي.

2- في الفقر والفقير.

3- في بيان مفهوم التصوف.

4- في إثبات كرامات الأولياء.

3- أما القسم الثالث فيتضمن التعريف بالمشايخ الأجلة من صلحاء الريف، وهو المقصد الأسمى من هذا التأليف، حيث ذكر ترجمة 46 من المشايخ الصلحاء المستقرين بحوز الريف؛ ما بين مدينتي سبتة وتلمسان، هؤلاء الذين عاشوا ما بين زمانه وزمان أبي مدين، وهو ما أشار إليه بقوله: "ويتلو ذلك ما تيسر من ذكر كل ولي بين زماننا هذا، وزمن الشيخ العارف أبي مدين."

استغرقت مدة تأليف المقصد نحو سنة، إذ فرغ من تأليفه سنة (711هـ/1311م)، حيث ابتدأه في صدرها، وأنجزه في آخرها، وعلى حد تعبيره: " وابتدأته في صدر سنة إحدى عشرة وسبعمائة، ونجز في آخرها، وانتسخت هذه النسخة من مسودته بعد تحررها، وإعادة النظر فيها، برسم خزانة الشيخ الفقيه الرئيس الحسيب المجيد... أبي فارس عبد العزيز ابن الشيخ

الحسيب المعظم الأكملالأفضل، أبي العلاء صاعد ابن أبي الوليد إسماعيل بن صاعد الجهني، أدام الله اعتناءهم بالعلم وأهله"..